

هَذَا الْقُرْآنُ حَقٌّ مَاضٍ حَدِيثٌ بَاقٍ



الطبعة الثانية

الدكتور
محمد زكي محمد خضر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لتحميل أنواع الكتب راجع: «مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي»

براي دائلود کتابهای مختلف مراجعه: (مَنْتَدَى اقْرأ الثقافى)

پژوهان و دانش پژوهان کتب: سهروردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأَ الثَّقَافِي)

[www. iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)



www.iqra.ahlamontada.com

لکتاب (کوردی , عربی , فارسی)

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَسِّرْهُ لِمَنِ يَشَاءُ وَيَسِّرْ لِمَنْ يَشَاءُ
هَذَا الْقُرْآنُ

فِي مِائَةِ حَدِيثٍ نَكَبُوهُ

الدكتور
محمد زكي محمد خضر

الطبعة الثانية

١٩٨٧ - ١٤٠٨ هـ

بِحَقِّقِ الطَّبَّاعِ مَحْضُوتَةً

شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة

عراق - موصل - شارع النجفي . هاتف: ٧٦٤٨٣٨ ص. ب: ٤٦٢ . تلکس: ZAHRA 298064

تقديم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله عزوجل : هو القول الفصل ، ليس بالهزل . أما وقد اتخذ عامة المسلمين هذا القرآن مهجوراً ، فلا أقل من التذكير بفضائله فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

في هذا الكتاب مائة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسم تبويبها في تسعة أبواب .

تحتوي المجموعة الاولى ثمانية أحاديث في فضائل تلاوة القرآن ومكانة قارئ القرآن عند الله في الدنيا والآخرة . وتضم المجموعة الثانية تسعة أحاديث في تعلم القرآن ، بينما تحتوي المجموعة الثالثة على ثمانية أحاديث أخرى في حفظ القرآن واستظهاره والحذر من نسيانه وفضائل من يحفظ القرآن . أما لب الكتاب فهو في الباب الرابع الا وهو العمل بالقرآن . في هذا الباب أربعة عشر حديثاً في فضائل العمل بالقرآن واحلال حلاله وتحريم حرامه والتمسك به والتحذير من ترك العمل به والاعراض عنه فهو وصية الله تعالى ورسوله في المسلمين .

تحتوي المجموعة الخامسة من الأحاديث اثني عشر حديثاً في كيفية تلاوة القرآن والاعتناء بترتيبه وتجويده والاستماع والانصات والخشوع عند سماعه . وفي الباب السادس مجموعة من ثمانية أحاديث في أورد القرآن وختمه وتحزيبه والدعاء عند ختمه فيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل تلاوة القرآن في الصلاة . ففي الاحاديث من ٦٠ الى ٧١ بعض ما ورد عن تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس والسنن والنوافل وعن سجود التلاوة . وقد اختصت بعض سور القرآن الكريم

بفضائل على غيرها . من هذه السور الفاتحة والبقرة وآل عمران والكهف ويس
والدخان والواقعة والاسراء والذمر والملك والزلزلة والاحلاص والمعوذتين
والكافرون . ومن الآيات الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة
الحشر . وهذه السور والآيات هي موضوع الباب الثامن الذي يضم ٢١ حديثاً
والمجموعة الاخيرة من الاحاديث تتكون من ثمانية احاديث موضوعها الرقية
بالقرآن واخذ الاجر على تلاوته .

هذا الكتاب ليس شرحاً للاحاديث الواردة فيه بل هو سرد لمأثورات
وتأملات توحىها هذه الاحاديث النبوية الشريفة . ومن أراد المزيد فليرجع
الى امهات كتب الحديث وشروحها وكتب التفسير . وحسب هذا الكتاب
أن يلفت الانظار الى اهمية تلاوة كتاب الله تعالى وتعلمه وحفظه والعمل به
فمن رأى أنه لم يؤد حق كتاب الله كما أمر الله تعالى فعليه أن يعقد العزم على
ان يتوب الى الله وينيب اليه ويسمى الى رضاه فالله أشد سعيًا نحو العبد من
سعي العبد نحو ربه إذا ما صدقت نيته وحسن عمله .

تبلغ الاحاديث الواردة في فضائل القرآن الكريم وتفسيره المأثورة بل ربما
الآلاف . وما اختير هنا ما هو الا أشهرها . ولم نتطرق الى شيء من التفسير لأن
ذلك تختص به كتب التفسير وكتب الحديث المطولة . إن معظم الاحاديث
الواردة هنا احاديث ثابتة الصحة . والقليل منها الذي ضعفه بعض العلماء هو
في فضائل الاعمال وما كان كذلك يعمل به وان كان ضعيفاً .

لا يكاد يخلو هذا الكتاب من هفوات ونقائص شأنه شأن كل كتاب من
تأليف البشر . أما كتاب الله تعالى فهو الكتاب الوحيد الذي يخلو من نقص
أو خطأ . فمن وجد في هذا الكتاب خيراً فليحمد الله تعالى ويدعوه تعالى
بالقبول ومن وجد غير ذلك فليدعو الله تعالى أن يغفر الزلات ويسدد العثرات
وقه الامر من قبل ومن بعد .

المؤلف

الباب الأول

فضائل تلاوة القرآن

قال الله تعالى في كتابه الكريم : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » (١) . فتلاوة آيات القرآن العظيم تزيد المؤمنين إيماناً .

١ - عن عبد الله بن عباس (٢) رضي الله عنهما قال : قال رجل يارسول الله : أي العمل أحب الي الله قال : **الحال المرحل** . قال وما الحال المرحل قال : **الذي يهرب من أول القرآن كلما حل ارتحل** »

رواه الترمذي

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فضيلة الشغف بتلاوة القرآن مرة بعد أخرى كلما وجد المرء إلى ذلك سبيلاً . وهو يشير فيما يشير إليه إلى فضيلة إتخاذ ورد مستمر من القرآن الكريم . قيل أن المراد بالحال المرحل الحث على تكرار الختم ختمه بعد أخرى . ويستحب إذا ختم القرآن وقرأ الموعظتين أن يقرأ الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة (الى قوله تعالى - هم المفلحون) لكي يتم المعنى الحرفي للحديث الشريف هذا بأن لا ينهي ختمه إلا ويبدأ بالآخرى .

(١) سورة الانفال الآية (٢)

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد وهو حاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعطيه الله الحكمة ويفقهه في الدين ويعلمه التأويل . كان من أعلم أصحابه توفي عام ٥٦٨

إن هناك العديد من الأحاديث الشريفة التي تحدد أفضل الاعمال ، مثل أفضل الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ . وهذا الحديث يعضد حديث الحال المرتحل لأنه حديث عام عن أفضلية الاعمال المستمرة على الأعمال المتقطعة . وحديث الحال المرتحل يحدد فضل استمرار تلاوة القرآن .

كما أن هناك احاديث أخرى تحدد أفضل الأعمال بالجهاد في سبيل الله أو بالحج المبرور وغيرها . ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث جميعاً بأن هناك أعمالاً مؤقتة هي أفضل من غيرها في أوقات محددة . فإذا حضر الجهاد فهو أفضل عمل حتى من تلاوة القرآن أو الصلاة . وإذا وجب الحج فهو أفضل الاعمال ولا يمنع أدائه من تلاوة القرآن . لذلك فإن هذا الحديث حين يشير إلى فضل الاستغراق بتلاوة القرآن لا ينفي فضل أعمال أخرى . كما أن إجابات رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يسأل من أصحابه كانت أحياناً بحسب حال السائل . فربَّ سائل قد حج مرات ومرات يكون استغراقه بتلاوة القرآن أفضل وربَّ سائل عند حضور ساعة الجهاد وهو متردد في المشاركة فيه فيكون الجهاد له أفضل الاعمال . ويفهم من الحديث أن للتلاوة فضلاً على غيرها من الأعمال بسبب التصاق الانسان بكتاب الله تعالى الذي هو مفتاح كل خير . وفيه ذكر كل الاعمال الصالحة . كما أن الاستمرار بالتلاوة يجعل المرء بصيراً بنفسه ومراقباً لها لأنه دائم المرور على آيات الوعد والوعيد ومن كان كذلك فأحرى به أن يتذكر ربه ويحسن عمله بين تلاوة وأخرى

٢ - عن عبدالله بن مسعود (٣) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ . وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي (٤)

(٣) هو عبد الله بن مسعود البهلي أسلم لديمماً وهاجر الهجرةتين وشهد بدرأ والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وحدث عنه بالكثير كان من علماء الصحابة ومن أُرسلهم في الدنيا وتوفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب .

(٤) وقال حسن صحيح

مضاعفة الحسنات بعشر أمثالها ثابتة في كتاب الله تعالى بقوله «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (٥). وهذا الحديث يثبت أن كل حرف من كتاب الله تعالى هو حسنة تضاعف بعشر أمثالها كقاعدة وفق الآية الكريمة السابق ذكرها . وهذا لا يناقض أحاديث أخرى تُشير إلى أن الله تعالى يضاعف الحسنات بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو ربما أكثر . فالحسنات تضاعف أضعافاً مضاعفة إن أخلصت النية لله تعالى وإن تسببت في حسنات آخر .

وهذا الحديث يشير في بعض ما يشير إليه خصوصاً إلى الحروف من أوائل السور مثلاً لا حصراً . هذه الحروف القليلة التي لا يترك معناها أغلب الناس لهم بتلاوتها حسنات مضاعفة رغم علم فهم معناها . وهي في الوقت نفسه تشير في النفوس معاني وإشارات لا حصر لها فكيف بغيرها من آيات الله البينات . قال سهل بن عبد الله التستري (٦) رضي الله عنه : لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم لأنه كلام الله تعالى وصفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذا لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه .

ولقد استنبط سلف الأمة الصالح من كتاب الله تعالى علوماً جمّة أولها علوم القرآن بما فيها من أسباب النزول وعلوم القراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وخطوط القرآن وأعراب القرآن وترتيب النزول

(٥) سورة الانعام الآية ١٥٩

(٦) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري من أكابر علماء الاعتقاد وكان يقول أصولنا سبعة : طعنك بكتاب الله والافتداء بنية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الإلحاح واجتناب المعاصي والتوبة وأداء الحقوق . توفي سنة ٢٨٣ هـ .

وقصص القرآن وأمثال القرآن واعجاز القرآن وأحكام القرآن وإحصاء
سوره وآياته وحروفه .

كل هذا إضافة إلى علوم التفسير وكل العلوم الشرعية الأخرى فكلها
أساسها القرآن . وإن في القرآن إشارات إلى كل العلوم حتى المادية والطبيعية
منها كالفلك والرياضيات والاحصاء والطب والهندسة وعلوم النفس
والاجتماع والتاريخ ، **«لَا أَنْ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ لَيْسَ كِتَابًا مَتَّخِصًا فِي أَيِّ مِنْهَا
فَهُوَ كِتَابٌ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «شَهْرُ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» (((٧) . وهو
ليس لتعليمهم علماً خاصاً من هذه العلوم رغم عدم تفریطه في شيء كما قال
تعالى «مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (٨) وقوله تعالى «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
رَبِّانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (٨) .**

قال بعض العلماء (١٠) : ان تحت كل حرف من كتاب الله كثيراً من
الفهم مذخوراً لا هله على مقدار ما قسم لهم من ذلك واستدلوا على ذلك
بآيات من القرآن مثل قوله عز وجل «مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (٨) وقوله
«وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» (١١) وقوله «وإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» (١٢) . وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :
من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن .

-
- (٧) سورة البقرة الآية ١٨٥
 - (٨) سورة الانعام الآية ٣٨
 - (٩) سورة النحل الآية ٨٩
 - (١٠) الطوسي في كتاب الصبح صفحة ١٠٦
 - (١١) سورة يس الآية ١٢
 - (١٢) سورة الحجر الآية ٢١

٣- عن ابي امامة (١٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَذْنُ اللَّهِ لِعَبْدٍ مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكَعَتَيْنِ يُصَلِّيَهُمَا وَإِنْ الْبِرَّ لَيَلَوَّ عَلَى رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ وَمَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ» (يعني القرآن) رواه الترمذي

حكى عن الامام أحمد رضي الله عنه (١٤) أنه رأى ربه في المنام عدة مرات فقال والله إن رأيت مرة أخرى لأسأله أي شيء يقرب العبد إلى ربه فرأى ربه جل شأنه فقال: يارب بأي شيء يتقرب العبد إليك فقال بتلاوة كلامي يا أحمد. قال فهم المعنى أو لم يفهم يارب؟ قال فهم المعنى أو لم يفهم.

إن إشارة الحديث إلى القرآن الكريم بأنه خرج من الله تعالى توحى بشأن على قاريه القرآن أن يستشعر عظمة كلام الله تعالى وكأنه يسمعه منه عز وجل معترفاً بعلوه وعظمته وفضله على خلقه.

وقال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أُنزلت من قبل ربنا عز وجل بهوده تدبرها في الصلوات وتقف عليها في الخلوات وتنفذها في الطاعات والسنن المتبعات. هذه الآيات هي نور منزل من الله تعالى. كما قال عز وجل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» (١٥).

وقال وهيب بن الورد رضي الله عنه (١٦): نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد أرقاً للقلوب ولا أشد استجلاباً للحنن من قراءة القرآن

(١٣) هو ابو امامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو بن وهب
(١٤) رابع الائمة الاربعة المجتهدين احمد بن حنبل المكتي بالصديق الثاني كان لايده قيام الليل وله في كل يوم وليلة حصة . اقبل بفتنة خلق القرآن في زمن المأمون نصبر . توفي رحمه الله
عام ٢٤١ هـ

(١٥) سورة النساء الآية ١٧٤

(١٦) وهيب بن الورد ابو عثمان يقال اسمه عبد الوهاب لرضي مكى وهو ثقة عابد من طبقة كبار التابعين .

وتفهمه وتدبره ويبين تسلسل الحديث أن أفضل تلاوة القرآن في الصلاة ثم غيرها . فالركعتان من الصلاة اللتان يحبهما الله لا بد وان يتلى فيهما كتابه .
 تلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قوله تعالى « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقُ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبَّاءَ » (١٧) فسأل نفسه وهو العربي الاصيل ، قد علمنا الفاكهة فما الأب (١٨) ؟ ثم عاد لنفسه قائلاً : وما يضرب ابن الخطاب أن لا يعلم ما الأب ؟ تالله إن هذا لمن التكلف (١٩) الذي نهينا عنه . وهكذا آمن السلف الصالح بالقرآن سواء عرفوا معناه ام لا ماداموا قد ايقنوا انه كلام الله تعالى وما داموا لم يهملوا تطبيق احكامه واوامره .

٤ - عن أبي موسى (٢٠) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْاَنْزَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا مُرٌّ .

رواه الخمسة (٢١)

يلاحظ في هذا الحديث نوعان من التشبيه : أحدهما بالريح الطيبة والثاني بالطعم الطيب . فالريح الطيبة تنتشر الى الغير . أي أن قارئ القرآن سواء كان مؤمناً ام منافقاً يعم نفعه الى غيره ممن يسمع تلاوته ولا ينحصر نفعه بنفسه وحدها . وقد يعم نفعه الى غيره باقراءه غيره أو بأمره أو بإبلاغه ما

(١٧) سورة عبس الايات ٢٧ - ٣١

(١٨) الأب هو المرعى كما يروى عن ابن عباس وهو رأي الجمهور من العلماء

(١٩) إشارة الى قوله تعالى : « قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ » سورة ص - الآية ٨٩

(٢٠) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار الاشعري توفي سنة ٤٤ هـ وهو ابن نيف وستين

(٢١) اي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابو داود

ورد في القرآن الكريم من أوامر ونواه. أما الطعم الطيب فلا يُستشعر إلا من المرء بنفسه ولا يستشعر من قبل الغير. لذلك فإن الايمان كالطعم الطيب يتحسس به المرء نفسه ويفعه باتباع أوامره واجتناب نواهيه ولا يعرفه غيره إلا بالتدقيق والمراقبة وكثرة التعامل وربما غاب عن الغير نهائياً.

إن من يقرأ القرآن الكريم لأبد وإن تظهر على جوارحه آثاره بالعمل به أو بالأمر بما ورد فيه أو بالنهي عن زواجره أو بالاعتباس منه في كلامه أو بكثرة ترداد آياته والاستشهاد بها ولا يخفى ما في ذلك من أثر واضح على تأثير كلام الله وفضل المرء على غيره من الناس.

كما يلاحظ أن قراءة القرآن حتى ممن لا يؤمن به من غير المسلمين مثلاً تجعل الكلام سليماً من الناحية اللغوية والبلاغية وحسن العبارة ودقة التعبير وسلامة اللفظ باللغة العربية.

٥ - عن أسيد بن حضير (٢٢) رضي الله عنه قال بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكت فقرأ فجالت الفرس فسكت ثم قرأ فجالت الفرس فأنصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما أجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير»: قال فأشفق يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فأنصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا يثل الظلّة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال وتلوي ما ذاك قلت لا قال :

«بَلَّكَ الْمَلَايِكَةُ دَنَبَ لِحَوْلِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تُتَوَارَى مِنْهُمْ»
رواه البخاري (٢٣)

(٢٢) هو أسيد بن الحضير بن سمالك بن عقيل الأشهل الأنصاري. كان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث وهو أحد النقباء يوم العقبة. أسلم على يد مصعب بن عمير قال عنه رسول الله صل الله عليه وسلم نعم الرجل أسيد بن حضير .

(٢٣) وكذلك مسلم والنسائي وإسماعيل والطبراني والحاكم بلفظ مختلف .

قال الله تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٢٤).

إن أثر القرآن لا ينحصر على من يعقله من البشر بل إن الجبال لتخشع من كلام الله تعالى وإن الحيوانات لتُحس بأثره ولكن ذلك لا يظهر للناس إلا بكرامة خارقة للعادة يظهرها الله تعالى لمن يشاء من عباده مثل ما حصل لأسيد بن حضير في هذا الحديث.

والكرامات لاولياء الله الصالحين حق وصدق شأنها شأن المعجزات للانبياء والمرسلين. لكن كما هو واضح من هذا الحديث أن الله يظهرها حين يشاء لمن يشاء من غير ان يطلبها العبد الصالح فهي نعمة من الله لتثيب المؤمنين لكي يزدادوا إيماناً لا يفتروا أو يعجبوا بأنفسهم وكأنهم هم الذين صنعوها. إن العبد الصالح اذا ظهرت على يديه كرامة من خوارق العادات تَكْتُمُ عليها وخشي أن تظهر وتشتهر ولكن إن ظهرت واشتهرت حمد الله تعالى عليها ودعى الله ان لا يجعلها استدراجاً. والفرق بين الكرامة والاستدراج أن تظهر الكرامة للعبد الصالح الملتزم بأحكام القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الاستدراج فهو ظهور خوارق العادات على يد من لا يزيده ذلك إلا بعداً عن احكام كتاب الله وسنة نبيه وفي ذلك يقول بعض الصالحين: اذا رأيت العبد يطير في الهواء ويسير على الماء ويخالف سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أنما يُسَوَّلُ له.

٦ - عن سمرة بن جندب (٢٥) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

كُلُّ مُؤَدِّبٍ يَجِبُ أَنْ تَلْزِمَ مَادَّبَتَهُ . وَمَادِبَةُ اللَّهِ الْقُرْآنُ فَلَا تَهْجُرُوهُ
رواه البيهقي

(٢٤) سورة الحشر الآية ٢١

(٢٥) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري من حلفاء الانصار كان غلاماً ولحق رسول الله اشراكه في إحدى الفزوات وقليل غيره فعرض ان يصارع ذلك الغلام فقبله رسول الله بعد

صرعه . توفي عام ٥٦٠

قال الله تعالى : وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٢٦) والمأدبة هي الوليمة او الدعوة إلى الطعام الذي هو غذاء الجسد . ومأدبة الله تعالى هنا وفق هذا الحديث هي القرآن فهو غذاء الروح والنفس والله أنزل هذا القرآن هداية للبشر : وَالْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢٧) ومادام الله قد انزله لذلك الغرض فهو يحب الاستجابة لتلك الدعوة ويكره الإعراض عنها، وهجران القرآن إعراضٌ عن دعوة الله إلى مآدبه جل وعلا. إن هجران القرآن الحقيقي المذكور في سورة الفرقان هو هجران الكفار له بأعراضهم عن الإيمان والتصديق بما جاء به وعن العمل به . أما هجران التلاوة فهو الهجران المذكور في الحديث هذا . وقد حدد الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه حدود هجران القرآن بتلاوته أقل من مرتين في العام حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعه جبريل القرآن في آخر رمضان صامه قبل وفاته مرتين كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد . وقد كره العلماء ترك المصحف في الدار دون أن يتلى فيه ولو تلاوة يسيرة لانهم يخشون أن يدخل هجران المصحف دون التلاوة فيه فترة طويلة ضمن التحذير من هجران القرآن...

٧ - عن أنس بن مالك (٢٨) رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ . قِيلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَعَاصَتُهُ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَبِيلٍ فِي مَشِيخَتِهِ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ وَصَحَّحَهُ

(٢٦) سورة الفرقان الآية ٣٠

(٢٧) سورة البقرة الآيات ١ - ٢

(٢٨) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة ٨٩٢ وقد جاوز المائة .

قال الله تعالى : وَقُلْ رَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . (١) .

فإن الله تعالى مُنَزَّهٌ أَنْ يتخذ صاحبةً أو ولدًا . وقد كَذَّبَ اليهود حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه لكن العبد الصادق الذي يحب مولاه لا بد وأن يعبر عن حبه بحب كتابه الكريم .

فمن أحب كتاب الله تلاه آناء الليل وأثناء النهار وكان خليله وصاحبه وبذلك ينعم الله تعالى عليه بأن يرفعه ليكون من خواص عباده الصالحين ومن أهل الله من بين سائر عباده ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . قال الله تعالى : «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (٣٠) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لا يسألُ عَبْدٌ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ رَسُولِهِ فَقَدْ قَالَ عليه الصلاة والسلام : «يُحْشَرُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (٣١) وقيل له (عبد الله بن مسعود) : أنك تغفل الصوم قال إني إذا صُمْتُ ضَعَفْتُ عَنِ الْقِرَاءَةِ . وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيَّ - أي أحب إليه من الصيام .

وكان مالك بن دينار (٣٢) رضي الله عنه يقول : ما زَرََعَ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ بِأَهْلِ الْقُرْآنِ ؟ إِنْ الْقُرْآنَ رُبِعَ الْمُؤْمِنُ كَمَا أَنَّ الْغَيْثَ رُبِعَ الْأَرْضُ .

٨ - عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إِقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِصَاحِبِهِ»

رواه مسلم

(٢٩) سورة الاعلاص الايات ١ - ٤

(٣٠) سورة آل عمران الآية ٣١

(٣١) حديث المرء مع من أحب ولما اكتسب رواه الترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه .

(٣٢) مالك بن دينار البصري الزاهد يكنى بأبي يحيى وهو صندوق عابد من طبقة صفار التابعين

مات سنة ٥١٣٠ هـ .

قال الله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (٣٣) فالقرآن شافع مشفع
يُذِنُ اللهُ تَعَالَى وَالشَّفَاعَةُ هِيَ الطَّلَبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ الشَّفِيعِ أَنْ يَغْفِرَ عَنْ
سَيِّئَاتِ الْمَشْفُوعِ لَهُ وَأَنْ يَرْفَعَ مِنْ مَقَامِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ وَيَصْرِفَ
عَنْهُ عَذَابَ النَّارِ. وَمَا أُخْرِيَ بِالْقُرْآنِ أَنْ يَشْفَعَ لِقَارِئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءَ قِرَاءَتِهِ
لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَلْ أَنَّ قَارِئَ الْقُرْآنِ نَفْسَهُ قَدْ يَرْفَعُ اللهُ مِنْ دَرَجَاتِهِ وَيُؤْهِلُهُ
لِكَيْ يَشْفَعَ لغيرِهِ كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ لَاحِقٍ.

وَالشَّفَاعَةُ غَيْرُ الْوَسَاطَةِ فِيهِ تَتَصَفَّ بِمَا يَأْتِي

(أ) الشَّفِيعُ يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ بِالشَّفَاعَةِ وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِأُذْنِ مَوْلَاهُ بَعْدَ
طَلَبِ ذَلِكَ أَوْ ابْتِدَاءً مِنْ عِنْدِ اللهِ بِأُذْنِهِ لَهُ.

(ب) لَا تَنُتِمُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا بِسَبَبٍ يُؤْهِلُ الْمَشْفُوعَ لَهُ أَنْ يَنَالَ الشَّفَاعَةَ

(ج) الشَّفَاعَةُ زِيَادَةٌ فِي إِثْبَاتِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَلَيْسَتْ وَسِيلَةً فِي اسْتِثْنَاءِ
بَعْضِ النَّاسِ مِنْ أَنْ تَنَالَهُمْ عَدَالَةُ اللهِ تَعَالَى

(د) الشَّفِيعُ لَيْسَ مَعْبُوداً مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ شَرِيكاً لَهُ وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً
وَلَا نَفْعاً وَقَدْ يَكُونُ مَخْلُوقاً أَوْ قَدْ يَكُونُ كِتَابَ اللهِ أَوْ عَمَلَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
كَالصِّيَامِ. وَالْمَخْلُوقُ الْمَشْفَعُ لَا يَمْنَعُ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ عِنْدَ اللهِ قَدْ وَهَبَهَا
لَهُ مَوْلَاهُ تَوْهَلَهُ لِلشَّفَاعَةِ.

الكتاب الثاني

تعلم القرآن

٩ - عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»

رواه البخاري وابو داود والترمذي

هذا الحديث يعضد أحاديث أخرى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : الْعُلَمَاءُ :
أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ (١) . فالعالم الذي يتعلم القرآن ثم يعلمه غيره قد أصبح
خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إبلاغ وتعليم كتاب الله بل خليفة
الله في إبلاغ أوامر الله تعالى لعباده . وهو بذلك يرشدهم إلى خير الدنيا
والآخرة فكان خليفاً به أن يكون من خير عباد الله تعالى فَإِنَّ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ
إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لعباده .

وهذا الحديث لا يعارض غيره من الأحاديث التي تحدد خير الناس مثل :
خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ (٢) أَوْ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي (٣)
بل إن هذه الأحاديث كلها يعضد بعضها بعضاً في معانيها فخير الناس من
تعدى نفعه إلى غيره وفضله على غيره بقدر زيادة فضله على الآخرين .
وتعلم القرآن وتعليمه يجب أن يُقصد به وجه الله تعالى وَأَنْ يَعْمَلَ الْمُعَلِّمُ

(١) رواه القضاي وابن عساكر عن أنس وصححه السيوطي

(٢) رواه القضاي عن جابر وصححه السيوطي

(٣) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس وصححه السيوطي .

بالقرآن قبل ان يعلمه غَيْرُهُ لكي لا يكون من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم . فمن تعلّم العلم ليباري به السفهاء أو ليجاري به العلماء أوليفتحخر به ابتغاء المديح والثناء والشهرة أو اكتساب الأموال فليس ذلك من الله في شيء وأولئك حبطت أعمالهم وهم في الآخرة خاسرون . أما من تعلّم ابتغاء وجه الله فعمل به وعلمه الناس وتلا القرآن تقرباً الى الله تعالى فذلك ممن يرجون ثواب الله والله عنده حسن الثواب .

ان الحث على تعلّم القرآن وتعليمه في هذا الحديث يزيد عليه الامر الصريح الذي ورد في قوله صلى الله عليه وسلم «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (٤) فكل من تعلّم آية هو عالم بها ويقع عليه ابلاغها وعلى المسلم ان لا يحتقر عمله بقلة ثواب ابلاغ الشيء اليسير فلا يجوز احتقار شيء من المعروف مهما كان يسيراً

١٠ - عن عبد الله بن عمرو (٥) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْهُ كَمَا كُنْتَ تُرْتِلُهُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مِزْرَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»

رواه الترمذي وابو داود

يدخل المؤمنون الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكن منازلهم في الجنة تتفاوت بحسب أعمالهم ومن ذلك تلاوتهم لكتاب الله وحفظهم له فكلما كان المؤمن أكثر إتقاناً لكتاب الله تعالى كلما كانت منزلته أعلى ودرجته أرفع يوم القيامة . ويؤكد هذا الحديث على أهمية ترتيل كتاب الله وتجويده . وسنأتي على تفصيل فضائل ذلك فيما بعد .

(٤) رواه الامام احمد والبخاري في التاريخ والترمذي وصححه عن ابن عمرو

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص من زهاد الصحابة . كان احد الصحابة القلائل الذين سمح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة الحديث في حياته وقد أسلم قبل ابيه وتوفي عام ٥٦٨ بمكة

١١ - عن عقبه بن عامر (٦) رضي الله عنه قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ
الله صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصِّفَةِ فَقَالَ :
« أَتَيْتُكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَفْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ بِطُحَّانٍ أَوْ الْعَقِيقُ فَيَأْتِي بِنَاقَتَيْنِ كُومَارَيْنِ فِي
غَيْرِ إِثْمٍ بِاللَّهِ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمٌ » فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَلْنَا نَحِبُّ ذَلِكَ فَقَالَ « فَلْتَسْنِ
يَهْدُو أَحَدَكُمُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ خَيْرٌ
لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ
مِنَ الْإِبِلِ »

رواه مسلم وابو داود

كان أهل الصفة من أفقر أهل المدينة وكانوا يسكنون في المسجد . فالمثال
الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بمقارنة تعلم آية من كتاب
الله مع اكتساب ناقة وهي يومئذ شيء كثير ، ربما تعدل ثمن سيارة في زمننا
هذا - هذا المثال حث على تعلم القرآن وفضله على العمل الدنيوي البحت
بدرجات كثيرة .

أما اكتساب الرزق الحلال لكي يَتَّقِيَ المرء سؤال الناس والحاجة إليهم بما
يكفيه ويكفي من يُعَلِّمُهُمْ من أفراد أسرته فهو فرض أيضاً . إن تعلم أسس
الإسلام وفرائضه آتي لابد منها لكل مسلم مقدم على السعي لاكتساب العلم
الذي هو من تكميليات الشريعة كالتحويج والبلاغة مثلاً .

أما إذا كان المرء سَعَةً في وقته بحيثُ يستطيعُ أَنْ يَتَعَلَّمَ دونَ أَنْ يُوْثِرَ
ذلك على اكتسابه للرزق فلا جدال في افضلية طلب العلم والله يرفع الذين
اوتوا العلم درجات .

١٢ - عن أبي هريرة (٧) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا

(٦) عقبه بن عامر الجهني ولي مصر لمعاوية ثلاث سنين وكان فقيهاً لاصلاً مات سنة ٥٦٠ هـ

(٧) أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر كان من أهل الصفة وهو حافظ الصحابة مات
سنة ٥٥٧ هـ وهو ابن ٧٨ سنة .

اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيََتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»

رواه مسلم وأبو داود

يلاحظ في هذا الحديث أن ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين في اكتساب العلم مقترن بالثواب يوم القيامة وليس بثواب دنيوي رغم أن العلم قد يدرُّ على صاحبه مكانة دنيوية أو أجراً مادياً لكن أقصى درجات الرفعة والمنزلة والثواب هي أن يذكر الله تعالى العبد كما قال «فأذكروني أذكركم» (٨) لأن تلاوة كتاب الله ذكرٌ لله تعالى والله يذكركم من يذكركه. إن الثواب والعقاب غالباً ما يكون من جنس العمل. فمن يسلك طريق العلم يسهل الله له الطريق إلى الجنة ومن يذكر الله بتلاوة كتابه يذكركه الله ومن يذكر الله في ملاً يذكره الله في ملاً خير من ملاً ومن يغفل عن الله تعالى لا يأبه الله تعالى به .

وإن تدارس القرآن منار لاستلھام كل العلوم الشرعية فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين .

إن للمساجد منزلة عالية عند الله فهي بيوت العبادة وهي بيوت العلم وهي بيوت الذكر. فيها كانت تعقد حلقات العلم وفيها تقرر عظام الأمور ومنها تعقد رايات الجهاد وفيها يتم إنصاف المظلومين ومنها توزع الزكاة وتُسبَر منها ركائب الحجيج . وتتضاعف صلاة الفريضة فيها وتتضاعف ثواب المعلمين والمتعلمين فيها كما يتضاعف ثواب الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

ويحث الاسلام المسلمين على طلب العلم والبدء بالاهم ثم المهم. فليس لهم أن يطلبوا دقائق فرعية ويتركوا الامور الهامة من العلوم سواء كان ذلك العلم من أمور

(٨) سورة البقرة الآية ١٥٢

دينهم أم من أمور دنياهم. فالطب والهندسة وغيرها من العلوم الطبيعية لا تقل في فضلها وحاجة الناس إليها عن بعض أمور دينهم فهي فروض كفايات إن تركها المسلمون أثموا جميعهم وإن قام بها بعضهم رفع الأثم عن الجميع. قال الله تعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٩) .

١٣ - عن أبي سعيد الخدري (١٠) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ . وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ» .

رواه الترمذي (١١)

الحديث القدسي هو الحديث الذي يأتي بلفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه . وهذا حديث قدسي .

اتصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يحوي جوامع الكلم رغم أنه كلام بشر . فبلفظة واحدة ترى معان عديدة تجمع جوانب شتى من الحكمة . فالاشتغال بالقرآن المذكور في هذا الحديث يضم تلاوته وتعلمه وتعليمه وتطبيقه والدعوة لما جاء فيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المنهي عنه في القرآن وهكذا بلفظ موجز شملت كل تلك الاعمال .

وللدعاء مكانة خاصة. فالله يحب أن يدعوه الناس لِكَيْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (١٢) ومع ذلك فإن من شغله شيء متعلق بالقرآن

(٩) سورة آل عمران الآية ١٠٤

(١٠) هو سعد بن مالك بن سنان الانصاري الخزرجي . استصغر بأحد واستشهد ابوه فيها وغزا هو ما بعدها . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير لال بايعت رسول الله أنا وأبو ذر وعبيده بن الصامت ومحمد بن سلمة أن لاتأخذنا في الله لومة لائم . توفي حوالي سنة ٥٦هـ

(١١) وقال حديث حسن غريب

(١٢) سورة غافر الآية ٦٠

من الامور التي ذكرناها من تلاوة وتعلم وتعليم وتطبيق فإن ثوابه بين السائلين محفوظ فهو يحصل على أفضل ما يحصلون عليه . وهكذا الحال بالنسبة للذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

وثواب الدعاء يكون أما بإجابة الدعاء الذي يسأله العبد أو بأن يصرف الله عنه ضرراً أو يسوق له ما يقابله من جزاء حسن في هذه الحياة الدنيا وإما أن يؤخر الله ثواب ذلك الى يوم القيامة فيعطيه من الحسنات اويحط عنه من السيئات .

وأفضل الدعاء ما كان دعاء لمنفعة عامة للناس في أمر يخص آخرتهم مثل الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الدرجة الرفيعة العالية والشفاعة يوم القيامة فان في ذلك نفع للبشر جميعاً في أشد الساعات صعوبة وشدة . ويلي تلك المرتبة من الدعاء ما كان دعاءً خاصاً لأمر يخص الآخرة مثل قول العبد اللهم أغفر لي ولوالدي . ثم يلي ذلك ما كان دعاء لمنفعة عامة يخص الدنيا مثل اللهم أسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ورابع هذه الدرجات ما كان خاصاً بالسائل ومتعلق بامر دنيوي مثل قوله رب أرزقني . فلكل دعاء مرتبته من الثواب سواء أوجب كما طلب السائل أم لا . فالله يعطي المشغول بالقرآن وبذكر الله تعالى أفضل ما يعطي هؤلاء .

ويحدد هذا الحديث القدسي أمراً هاماً يصلح أن يكون أساساً قوياً لحياة المسلمين فاذا ما وضع المسلمون كلام الله تعالى فوق كلام الناس وفضلوه على ما سواه كانت أمور دنياهم بخير وأمور آخرتهم أفضل من ذلك ففضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه . وهذه هي المنزلة التي يجب على المسلمين أن يضعوا بها القرآن الكريم واحكامه وأوامره . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١٣) .

(١٣) سورة الانفال الآية ٢٤

وقال ايضاً: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٤)

١٤ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَقْرَنْتَنِي بِرَسُولِ اللَّهِ فَاتَّبَعْتَنِي إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» فَقَالَ يَكْفِينِي وَأَنْصَرَفَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنْصَرَفَ الرَّجُلُ وَهُوَ فَقِيهٌ».

رواه ابو داؤد والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه

هَذَا الرَّجُلُ صَادِقُ السَّرِيرَةِ مُخْلِصُ النِّيَّةِ بِفَطَرَتِهِ السَّلِيمَةِ. اسْتَنْتَجَ بَعْدَ دَقَائِقٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ بَدْءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَعْلِيمِهِ الْقُرْآنَ أَنَّهُ قَدْ تَلَيْتَ عَلَيْهِ آيَةَ عَظِيمَةٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةٌ أُصُولِيَّةٌ يَتَّبِعُ نَهْجَهَا وَيُسِيرُ عَلَى هَدْيِهَا. هَذِهِ الْآيَةُ تَحَدِّدُ مَا لِلْإِنْسَانِ وَمَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَ خَيْرًا وَلَوْ كَانَ وَزَنَ ذَرَّةً يَجْزِي بِهِ خَيْرًا، لِذَا عَلَيْهِ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا وَلَوْ كَانَ وَزَنَ ذَرَّةً يِعَاقِبُ عَلَيْهِ فَلْيَتَجَنَّبْ ذَلِكَ. أَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ لُبُ الْفَقِيهِ؟ فَاسْتَحَقَّ أَنْ يَصِفَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَصْبَحَ فَقِيهًا.

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ كَثِيرَةٌ كُلُّ مِمَّا تَسْتَحِقُّ أَنْ يُوَقَّفَ عِنْدَهَا طَوِيلًا وَأَنْ تُعْتَمَدَ كَقَاعِدَةٍ يَتَذَكَّرُهَا الْمُؤْمِنُ وَيَجِدُهَا تَطْبِيقًا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ عَمَلِهِ وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَاتِ يَجِدُهَا الْمُسْلِمُ الَّذِي يَحِبُّ الْقُرْآنَ بِنَفْسِهِ فَيَقِفُ عِنْدَهَا طَوِيلًا. إِسْمِعْ قَوْلَهُ تَعَالَى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (١٥) وَقَوْلَهُ تَعَالَى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (١٦) وَقَوْلَهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (١٧) وَقَوْلَهُ: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (١٨)

(١٤) سورة النور الآية ٥١

(١٥) سورة الشورى الآية ٣٠

(١٦) سورة الحجرات الآية ١٠

(١٧) سورة فاطر الآية ٢٨

(١٨) سورة الذاريات الآية ٢٢

هذا الاعرابي . مثله مثل حاتم الأصم (١٩) الذي صاحب شقيق البلخي (٢٠) ثلاثين سنة فسأله يوماً إنك صاحب منذ ثلاثين سنة فما حاصلك فيها قال حصلت ثمانية فوائد من العلم وهي تكفيني منه لأنني أرجو نجاتي وخلاصي فيها . فقال شقيق ماهي ؟ قال حاتم : الفائدة الاولى أني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل واحد منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت وبعضه إلى شفير القبر ثم يرجع كله ويتركونه وحيداً فريداً ولا يدخل في قبره منهم أحد . فتفكرت وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنس فيه فما وجدت إلا الأعمال الصالحة وأخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً في قبري وتؤنسني ولا تتركني فريداً . الفائدة الثانية : أني رأيت الخلق يعبدون أهواءهم ويبادرون إلى مداراة انفسهم فتأملت في قوله تعالى : «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٢١) وتبينت أن القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسي وتشمرت لمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى أرتاضت في طاعة الله وانقيادها له . الفائدة الثالثة أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه فتأملت في قوله تعالى «وَمَاعِنْدَكُمْ يَنْتَفِذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» (٢٢) فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله . الفائدة الرابعة أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر فيغتر بهم وزعم آخرون أنه في ثروة المال وكثرة الاولاد فيفتخر بهم وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك الدماء واعتقدت طائفة أنه في إتلاف

(١٩) ابو عبد الرحمن حاتم بن علوان الاصم من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ توفي سنة ٥٢٧هـ

(٢٠) ابو علي شقيق بن ابراهيم البلخي كان من مشايخ خراسان صاحب ابراهيم بن ادهم كان يقول

عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة لأصبت في حرفين وهما قوله تعالى

وما أوتيتهم من شيء لفتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى

(٢١) سورة النازعات الآية ٢٩ - ٤٠

(٢٢) سورة النحل الآية ٩٦

المال وإسرافه وتبذيره فتأملت قوله تعالى «إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (٢٣) فاخترت التقوى واعتقدت أن القرآن صادق وظنهم وحسابهم كلها باطلة .
 الفائدة الخامسة أني رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً فوجدت ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت في قوله تعالى : «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (٢٤) فعلمت أن القسمة كانت من عند الله تعالى في الأزل فما حصدت أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى .
 الفائدة السادسة أني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض أو سبب فتأملت قوله تعالى : «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» (٢٥) وعلمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان . الفائدة السابعة : أني رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع في شبهة أو حرام أو يذل نفسه وينقص قدره فتأملت في قوله تعالى : «وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» (٢٦) فعلمت أن رزقي على الله قد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عن سواه . الفائدة الثامنة أني رأيت كل أحد معتمداً على شيء مخلوق بعضهم إلى الدينار والدرهم وبعضهم إلى المال والملك وبعضهم إلى الحرفة والصناعة وبعضهم إلى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى : «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (٢٧) فتوكلت على الله فهو حسبي ونعم الوكيل هو . فقال شقيق وفقك الله إني نظرت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فوجدت الكتب تدور على هذه الفوائد الثمانية فمن عمل بها كان عاملاً بالكتب الأربعة .

١٥ - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(٢٣) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢٤) سورة الزمهر الآية ٣٢

(٢٥) سورة طاهر الآية ٦

(٢٦) سورة هود الآية ٦

(٢٧) سورة الطلاق الآية ٣

مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَلْبِزْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

أخرجه الترمذي (٢٨) وحسنه وهو عند أبي داود من رواية العبد وعند النسائي في الكبرى القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً فما أجمل في أية فصل في آيات أخر . ثم يفسر القرآن بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلي ذلك فهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لمعاني آيات القرآن الكريم ويستند المفسرون إلى هذه الأسس وإلى اللغة العربية التي بها أنزل القرآن وبما يؤتيهم الله من فهم مستند إلى تقوى الله وحمل آيات القرآن على أفضل الوجوه . أما التفسير وفق الهوى والرأي غير المستند إلى الأسس السالفة بهدف إثبات أمر منكز أو محرم أو التحلل من أمر صريح أو نهي منصوص عليه أو لغرض أن تعرف مكانة المفسر بين العلماء ابتغاء الشهرة والجاه والسمعة فهذا ما يحذر الحديث الشريف منه ... فليحث صاحبه عن مقعده في نار جهنم .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أَيَّ أَرْضٍ تُقَلِّني وَأَيَّ سَمَاءٍ تُظِلُّني إِذَا قُلْتُ في القرآن بِرَأْيِي . وقال أبو الدرداء (٢٩) رضي الله عنه : لَا يَفْقَهُ الرجلُ حَتَّى يَجْعَلَ للقرآنِ وَجوهاً أَي يرى أن هناك أكثر من تفسير واحد لآيات القرآن الكريم . وهذا مادفع بعض العلماء أن يؤلفوا كتباً تحسوي تأملات وجوانب من تفسير القرآن الكريم مثل تفسير التستري وفي ظلال القرآن . أما التفاسير المعتمدة الأخرى فكثيرة أقدمها تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لكن لم يصلنا كاملاً وبعضه غير موثق وأشمل التفاسير القديمة هو تفسير الطبري الذي أخذ عنه معظم من جاء بعده من المفسرين .

(٢٨) في رواية الترمذي : مَنْ قال في القرآن بِرَأْيِهِ .. وقال حديث صحيح
(٢٩) هو عويمر وقيل عامر الانصاري الخزرجي . أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها بلاء . حسناً . قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد نعم الفارس عويمر . تولى لواء دمشق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه .

ومن أفضل التفسير تفسير القرطبي وابن كثير . ومن أراد الاستزادة فليرجع الى تفسير الألوسي والقاسمي والبغوي والخازن والمنار . ومن أراد الاختصار فليرجع الى تفسير الجلالين والبيضاوي والنسفي والتسهيل .
١٦ - عن جندب بن عبد الله (٣٠) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«إِقْرَأُوا الْقُرْآنَ مَا تَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَهَرَمُوا عَنْهُ»

رواه الشيخان (٣١)

المقصود باقروا - والله اعلم - تدارسوا . والاختلاف المشار اليه في الحديث هو أي اختلاف ، سواء كان حول التفسير والمعاني أو كان حول أصول التجويد وعلم القراءات أو كان حول الاستنباط وكيفية تطبيق الأحكام .

وبتين من الحديث أن الاختلاف الذي هو مدعاة للضعف والفرق يجب اجتنابه بل وحتى التوقف عن تلاوة القرآن أو تدارسه وتعلمه عند ظهور بوادر الاختلاف لأن بركة التلاوة والتعلم تُحقق نتيجة الاختلاف وتبتعد القلوب عن بعضها ويدخل الشيطان لكي يثير نوازع النفس الانسانية من حب للظهور والعجب بالرأي والانانية .

قال سهل التستري رضي الله عنه : في القرآن آيتان ما أشدّهما على مَنْ يُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ وهما قوله تعالى : «مُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» (٣٢) أي يُعَارِي فِي آيَاتِ اللَّهِ وَيَخَاصِمُ بِهِوَ نَفْسِهِ وطبع جبلة عقله والثاني سورة قوله تعالى :

«وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» (٣٣) .

(٣٠) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقمي مات بعد سنة ٥٩٠ هـ .

(٣١) أي البخاري ومسلم

(٣٢) سورة غافر الآية ٤

(٣٣) سورة البقرة الآية ١٧٦

وأخذ الأسباب الرئيسية للاختلاف هي الجدل وقد نهى الله عنه في الآية الكريمة السابقة أي الجدل في القرآن الكريم والجدل منهي عنه سواء كان جدلاً في القرآن أم بغيره إن استند إلى التعصب للرأي والدفاع عن ذلك بأساليب الحق والباطل على السواء وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء من يترك المراء (أي الجدل) بأن يبني الله له بيتاً في ربض الجنة إن كان مبطلاً وفي أعلاها إن كان محقاً (٣٤) . أما الجدل دفاعاً عن الحق ضد أهل الباطل فيجب أن يكون بالموعظة الحسنة . قال تعالى : «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (٣٥) وهو غير الجدل المنهي عنه في الحديث أعلاه والذي ينبع من نزاع النفس والهوى

أما اختلاف وجهات النظر المستند إلى أسس صحيحة ومبعثه الاجتهاد مع التخلق بالأدب الرفيع واحترام وجهة نظر المخالف فهو غير داخل ضمن هذا النهي لأن الله تعالى قد خلق الناس مختلفين في قابلياتهم العقلية وإطلاعتهم وخبراتهم ومن ثم لا بد وأن ينعكس ذلك على فهمهم وتصوراتهم . ١٧ - قال ابن عباس رضي الله عنهما : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ فَقُلْتُ لَهُ وَمَا الْمُحْكَمُ؟ قَالَ الْفَصْلُ وَهُوَ مِنَ الْحَجَرَاتِ.

رواه البخاري.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين يقول قد قرأت المحكم وأنا ابن عشر سنين فانه يعني أنه قد حفظ الأجزاء الأخيرة من القرآن من سورة الحجرات إلى سورة الناس . وقد استحَبَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقنَ الطفلَ خمسَ آياتِ خمسَ آيات وفي ذلك رواية عن أبي العالية (٣٦) قال : تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٣٤) أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث انس وقال الترمذي حديث حسن .

(٣٥) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٣٦) أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي من التابعين ثقة مات سنة ٨٩٠ .

كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسًا خَمْسًا (٣٧) وفي رواية «مَنْ تَعَلَّمَ خَمْسًا خَمْسًا لَمْ يَنْسَهُ» والمقصود بأن جبريل كان يقرئ الرسول صلى الله عليه وسلم خمس آيات غالباً حيث قد ثبت أنه نزل أحياناً بأكثر من ذلك وأحياناً بآية أو بعض آية .

إن أحد حقوق الولد على والديه أن يعلماه القرآن ولهما بذلك الثواب الجزيل وسيأتي حديث عن بيان ثوابهما يوم القيامة .

ولقد حث الإسلام على تعليم الأطفال وأول ما يجب أن يعلموه من العلم هو القرآن . وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من بعض أسرى بدر أن يعلموا أعداداً من أطفال المسلمين القراءة والكتابة وفي ذلك مثل عظيم على أهمية العناية بتعليم الأطفال . كما أن تعلم القرآن في الصغر ينشئ الطفل على أساس قويم من الخلق والاتزان واتخاذ القرآن دليلاً في الحياة إضافة إلى قوة قابلية الطفل على الحفظ في صغره وتأثير ذلك على نفاذ ذهنه وتقوية ذاكرته وتحسين لفته ونطقه ولذلك تأثير على كل ما يتعلم من علوم أخرى يحتاجها في حياته .

البَابُ الثَّالِثُ

حفظ القرآن

١٨ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْيَتِّ الْخَرْبِ »
رواه أحمد والحاكم والترمذي وصححه

إن حفظ ما يكفي من القرآن لأداء الصلاة فرض عين على كل مسلم لأن
ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . أما هذا الحديث فيتحدث عما يزيد
عن ذلك فهو يبحث على الاستزادة من حفظ آيات كتاب الله فهي أمانة
مؤكدة .

اختلف العلماء أيهما أفضل : القراءة من المصحف أم القراءة عن ظهر
الغيب . قال بعض العلماء : المدار في هذه المسألة على الخشوع فإن كان
الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في
المصحف أكثر فهو أفضل فإن استويا فالقراءة نظراً أولى لأنها أثبت وتمتاز
بالنظر الى المصحف . قال الشيخ ابو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان :
والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل . وكان السلف
يتعاهدون أطفالهم على حفظ كتاب الله تعالى . دخل الرحالة الشهير ابن بطوطة
خلال رحلته في مالي على قاضي مالي يوم العيد عام ١٣٥٢م فوجد أولاده في
القيود فقال ألا تسرحهم فأجابه لا أفعل حتى يحفظوا القرآن كما مر ابن بطوطة
في مالي بشاب حسن الصوت وعليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل يسأل

مرافقه عما ارتكبه هذا الشاب من جرم ، وعلم اخيراً انه قيد حتى ينتهي من حفظ القرآن

ورغم ان اسلوب ربط القيود مما تعافه أنفسنا اليوم ولا تعتبره الاساليب التربوية الحديثة صحيحاً ، إلا أن هاتين القصتين توضحان مقدار حرص المسلمين في أقاصي افريقيا وغيرها من بلاد المسلمين على تحفيظ أولادهم كتاب الله .

ومثل هذه المدارس التي يحفظ بها الاطفال القرآن متشرة في كثير من المساجد في شتى بلاد المسلمين اليوم

١٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وهم ذو عدد فاستقرأهم فقرأ كل رجل منهم مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنأ فقال «مَاعَلَك يَا فُلَانُ» ؟ فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة قال «أَمَعَلَك سُورَةُ الْبَقَرَةِ» ؟ قال نعم . قال «أَذْهَبَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ» فقال رجل من أشرفيهم والله يارسول الله ما معني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَأَقْرَأُوا وَأَقْرِئُوا فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لَمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَثَلُ جِرَابٍ مَحْشُورٍ مِسْكاً يَفُوحُ بِرِيحِهِ كُلِّ مَكَانٍ وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْلُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَثَلُ جِرَابٍ وَكِيءٍ عَلَى مِسْكِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَابْنُ حِبَانَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ هَكَذَا يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ فَيُفَضِّلُهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَكْبَرُ . وحفظ القرآن أحد الدلائل الرئيسة على علم الشخص ومن ثم تفضيله وتقليده المناصب .

ويستدل من الحديث عدم الاكثراث بخشية ألا يقوم الرجل بالآية او السورة أن لا يحفظها بل عليه أن يحفظ من كتاب الله ما استطاع . وقوله خشية أن لا يقوم بها يحتمل أن يقصد أن لا يقوم بأداء ما توجهه السورة من واجبات وأوامر والانتهاه عما فيها من نواهٍ كما يحتمل أنه يقصد بالقيام

بها قيام الليل يدل على المعنى الاول المفهوم العام من قول الصحابي ويدل على المعنى الثاني إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قارن بين من يرقد في الليل وأن مثله مثل الجراب الموكى على مسك مما يفهم عنه أن عدم القيام بالسورة هو النوم أي عدم قيام الليل والمعنى الاول أقرب للاحتمال

إن للقرآن بركة وهو في جوف المؤمن فمن كان جوفه خالياً من القرآن كان كالبيت الخراب كما مر في حديث سابق وسواء قام به أم لا فهو محشو مسكاً أو موكاً على مسك أي أن له بركة وأثرأ سواء كان الأثر ظاهراً ينتقل الى الغير أم كان غير واضح للآخرين .

إن في هذا الحديث اقتران واضح بين قراءة القرآن وإقراءه أي تعليمه للغير فمن تعلم آية واحدة أصبح عالماً بها ومن ثم وجب عليه حقها من تعليم وعمل ولكن الحديث يشير إلى أنه حتى ولو قرأها فقط وتعلمها هو فعندئذ يكون كالجراب بريح طيبة تفوح منه في كل مكان

٢٠ - عن سهل بن سعد (١) رضي الله عنه قال أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت إنها وهبت نفسها لله ولرسوله فقال مالي في النساء ومن حاجة فقال رَجُلٌ زَوَّجْنِيهَا قَالَ أُعْطِهَا ثَوْبًا قَالَ لَا أَجِدُ قَالَ أُعْطِهَا وَلَوْ خِثَامًا مِنْ حَدِيدٍ فَاعْتَلَّ ذَلِكَ فَقَالَ مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ قُلْ زَوَّجْتُكَ بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ

متفق عليه

يبين الحديث سنة قلة المهور في صدر الاسلام فكان الأمر ابتداءً بشوب ثم بشيء ملموس ولو خاتم من حديد ثم كان ثالثها بما معه من القرآن اي يعلمها إياه فذلك المهر

(١) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الخزرجي الساعدي . كان إسمه حزن فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سهل . عاش مائة عام او يزيد مات سنة ٥٩١ وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة .

وهكذا كان ثواب حفظ القرآن الديني معاملة بالمهر . ولأجر الآخرة
أكبر لو كانوا يعلمون .

٢١ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»

رواه مسلم

ان رفع الله تعالى لأقوام بالقرآن الكريم إنما هو بعلمهم به بعد تعلمهم إياه وتعليمهم غيرهم . أما الذين يضعهم الله بالقرآن فهم الذين كفروا به وجحدوا أو كانوا ممن جهل أحكامه وتلاوته وفهمه أو ممن لم يحفظ منه شيئاً . وقد مر بنا تأييد معنى هذا الحديث في تأمير رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه سورة البقرة رغم حداثة سنه وتأخيرها من هو أسن منه وأكثر شرفاً لقلة حفظه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من شهداء أحد في لحد واحد ثم يقول أيهما أكثر اخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدّمه إلى لحدّه (٢١) . وهذه سنة بتقديم أصحاب القرآن في كل امر حسن ان استوت الكفاية وذلك تعظيماً لفضل القرآن الكريم . ومن يُعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب .

٢٢ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

بِسْمِ اللَّهِ أَخَذَكُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّي . اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَقْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ

رواه الشيخان والترمذي

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

نظراً لوجود تشابه في الفاظ بعض آيات القرآن الكريم أحياناً واختلافها أحياناً أخرى فإن حفظ القرآن قابل للنسيان إن لم يستذكر ، لذلك يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باستذكار القرآن حفظاً عليه من النسيان .

وهنا إشارة الى كراهة نسبة النسيان الى النفس نظراً لأن هناك معنى آخر للنسيان وهو تعمد إغفال العمل بأحكام الآيات وهذا والعياذ بالله من سيئ الاعمال . قال الله تعالى : «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» . قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى» (٣) .

وفي هذا الحديث دليل على أن النسيان امر محتمل للانسان وليس بنقص ولكن على الانسان الجِد والحِرص على عدم النسيان بالاستذكار . قال الله تعالى «سَنَقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَآثِرَ اللَّهِ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى» (٤) .

وفي الحديث إشارة إلى مراقبة اللسان من التكلم حتى بكلام يقصد غيره إن كان اللفظ الذي يستخدم يشير الى أمر فيه اثم أو معصية . فهنا رغم ان النسيان أمر متوقع للانسان ، إلا أن النهي عن نسبة هذا النسيان للنفس على أنه أمر قد قام به الانسان إختياراً وتعهداً ، خشية أن يكون مشمولاً بمن تعمد النسيان الذي يشير الله اليه في الآية السابقة . ويشبه ذلك قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا» (٥) . وذلك لأن اليهود استخدموا لفظة راعنا فهي الله عن استخدام ذلك اللفظ من قبل المسلمين . ٢٣ - عن عبادة بن الصامت (٦) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٣) سورة طه الآيات ١٢٤ - ١٢٦

(٤) سورة الاعل الآيات ٧٥٦

(٥) سورة البقرة الآية ١٠٤

(٦) هو عبادة بن الصامت بن ليس اليماني الخزرجي شهد بدرأركان أحد النقباء المعثرة بالعقبة توفي سنة ٥٤٥هـ .

«مَنْ أَمِيرَ عَشْرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفْكَهُ مِنْهَا إِلَّا عَدْلُهُ وَمِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا»

رواه الامام احمد

كان الضحاك بن مزاحم (٧) يقول : مامن أحد تعلّم القرآن فنسيه إلا بذنوب يحمدته لأن الله تعالى يقول : «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (٧) وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب .

الامارة مهما كانت صغيرة حتى ولو كانت على عشرة أفراد تستوجب العدل فيما بينهم واتباع مأمّر الله به من أوامر فيهم . ومن لا يفعل ذلك يؤتى به مغلولًا يوم القيامة . قال الله تعالى عن عذاب جهنم وحال الكافرين فيها «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ» (٩) والنسيان هنا ايضاً نسيان العمل لكن نسيان الحفظ يخشى أن يكون مشمولاً بذلك والله أعلم . كما أن عقوبة النسيان يوم القيامة التي يبينها الحديث هي نقص البدن بمرض الجذام الذي يشابه نقص العلم نتيجة النسيان في الدنيا ويشبه ذلك كثير من الاحاديث الواردة في عقوبات المعاصي يوم القيامة فان العقوبات من جنس العمل ويشبه ذلك الشطر الاول من الحديث في عقوبة الأمير الذي عقوبته الاغلال التي ربما يستخدمها في الحياة الدنيا نتيجة عدم عدله .

٢٤ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال :

عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَكْبَرَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْ بِهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَ

رواه الترمذي وابو داود

(٧) الضحاك بن مزاحم الهلالي يكنى بأبي القاسم صدوق من صفار التابعين مات بعد سنة ١٠٠ هـ .

(٨) سورة الشورى الآية ٣٠

(٩) سورة المعارج الآيات ٣٠ - ٣٢

نسيان الحفظ له أسباب : منها عدم التكرار لشغل طاريء وهذا يحدث لكل فرد وعليه أن يراجع بعد أن يفرغ من شغله .

ومنها عدم التكرار لشغل مستديم . فان كان شغله يمنعه من تكرار القرآن وكان شغله من الأهلية بمكان فعليه أن يكابد ويحاول إيجاد الوقت للتكرار ويدعو الله بالمغفرة . أما إن كان عدم التكرار لإهمالاً وتكاسلاً ، فهذا من التقصير الذي هو من الذنوب ويخشى أن يكون إثمه كبيراً .

أما إذا كان النسيان نتيجة مرض يمنعه من التكرار أو ينسيه ما حفظ فذلك مما يرجى أن لا يؤاخذ به الله به بل ويكتب له ثواب يوم كان يكرر القرآن ويحفظه هذا إذا كان صابراً في مرضه محتسباً ذلك لله .

٢٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنَّا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَبِي أُنْتُ وَأُمِّي ، فَقُلْتُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ صَدْرِي فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا الْحَسَنِ أَعْلَمْتُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ، وَتَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلَّمْتَهُ وَيَتَّبَعَ مَا تَعَلَّمْتَ فِي صَدْرِكَ ؟ » قَالَ أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَّمَنِي . قَالَ : « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُومَ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَأَتِهَا سَاعَةً مَشْهُودَةً وَالِدَعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ وَقَالَ أَخِي يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ « سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي » يَقُولُ حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَصُمْ فِي وَسْطِهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَصُمْ فِي أَوَّلِهَا فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةَ يَسَّ وَفِي الرَّكَعَةِ الثَّانِيَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَحَمْدَ الدُّخَانِ وَفِي الرَّكَعَةِ الثَّالِثَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَالْم تَزِيلُ السَّجْدَةَ وَفِي الرَّكَعَةِ الرَّابِعَةِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَتَبَارَكَ الْمُفْصَلُ ، فَإِذَا قَرَأْتَ مِنَ الشَّهَادَةِ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَحْسِنِ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ وَصَلِّ عَلَىَّ وَأَحْسِنِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَاسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَخَوَانِكَ الَّذِينَ سَبَقُوكَ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ قُلْ فِي آخِرِهِ ذَلِكَ : اللَّهُمَّ أَرْحَمَنِي بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا بَقِيَتْنِي وَأَزَحَمَنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَا يَغْنِيَنِي

وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي . اللَّهُمَّ بَدِّعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلَالِكَ وَنُورِ
وَجْهِكَ أَنْ تُتَوَرَّ بِكِتَابِكَ بَصْرِي وَأَنْ تُطْلِقَ بِهِ لِسَانِي وَأَنْ تُفَرِّجَ بِهِ عَنْ قَلْبِي
وَأَنْ تُشْرَحَ بِهِ صَدْرِي وَأَنْ تُعْمَلَ بِهِ بَدَنِي فَأَنْتَ لَا يَغْنِيَنِي عَلَى الْحَقِّ غَيْرُكَ وَلَا
يُوتِيهِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . يَا أَبَا الْحَسَنِ تَفْعَلْ ذَلِكَ
ثَلَاثَ جُمُعٍ أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا تَجَابَ بِأُذُنِ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأَ
مُؤْمِنًا قَطُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ اللَّهِ مَا لَيْثٌ عَلَيَّ إِلَّا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا حَتَّى جَاءَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ إِنِّي
كُنْتُ فِي مَا خَلَا لَا أَخْذُ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ أَوْ تَحْوَهُنَّ فَإِذَا قَرَأْتُهُنَّ عَلَى نَفْسِي
تَقَلَّتْ وَأَنَا أُتَعَلِّمُ الْيَوْمَ أَرْبَعِينَ آيَةً أَوْ تَحْوَهَا فَإِذَا قَرَأْتُهَا عَلَى نَفْسِي فَكَأَنَّمَا
كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ عَيْنَيْ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَإِذَا رَدَدْتُهُ ثَمَلْتُ وَإِنَا
الْيَوْمَ أَسْمَعُ الْإِحَادِيثَ فَإِذَا تَحَدَّثْتُ بِهَا لَمْ أَخْرَمْ مِنْهَا حَرْفًا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مُؤْمِنٌ وَرَبِّ الْكَلْبَةِ يَا أَبَا الْحَسَنِ»

رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ورواه الحاكم في مستدركه
والطبراني في معجمه الكبير

هذا الحديث الشريف يتطلب أول ما يتطلب العزم على التغلب على النسيان
والتوكل على الله والاستعانة به والدعاء منه أن يعين المرء على ذلك فإنه
لا يعين على الخير غيره .

يقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي
واخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

وهنا يؤكد الامام الشافعي على أن استاذة وكيعاً ينصحه بأن يترك المعاصي
بعد ان شكى له سوء حفظه . فمن أصلح ما بينه وبين الله تعالى كان حقاً

على الله أن يعينه على طاعته ورضاه قال تعالى «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» (١٠)

وفيما يأتي بعض القواعد التي يمكن أن تساعد في تحسين الحفظ وسرعته وعدم النسيان :

• اختيار افضل الأوقات للحفظ وقد يختلف ذلك من فرد لآخر ولكن على الغالب فان افضل الاوقات للحفظ قبل النوم ولكن يفضل تكرار ما حفظ قبل النوم بعد الاستيقاظ مباشرة لكي يترسخ. والوقت الآخر المناسب للحفظ هو أول النهار أو في الاوقات التي يكون المرء مرتاحاً ومسترخياً .

• على المرء أن يختار الوسيلة التي تساعد على الحفظ . فهناك من يحفظ أفضل بكتابة ما يريد حفظه ثم يتلوه بصوت منخفض وبراغي عند نظره الى الورق أماكن الكلمات وربما كيفية كتابتها وبذلك فان مساعده في الحفظ هما عيناه . وهناك من يحفظ افضل بترديد ما يحفظه بصوت مرتفع بحيث يسمع نفسه أو يسمعه من جهاز التسجيل أو الراديو . وهذا الشخص تعينه في حفظه أذناه .

• على المرء أن يختار آيات معدودات يكررها حتى يحفظها ثم يكررها فوق الحفظ لكي يترسخ ثم يكررها بعد فترة وجيزة ثم يياعد الفترة شيئاً فشيئاً الى أن يصل الى فترة مناسبة يكررها فيه تكراراً يمنع من النسيان .

• على المرء أن يربط بذهنه الآيات ذات الالفاظ المتشابهة مع مواقعها في السورة أو مع آيات أخر أو مع مواقع كتابتها على الورق أو مع اسلوب تلفظها لكي يميزها عما يشابهها . كل ذلك بذهنه لكي يعرف الآية الصحيحة ومايلها إذا ما اشتبهت عليه الآيات عند قراءتها فيما بعد

• فهم المعنى والتفسير وأسباب التزول من الامور المساعدة على الحفظ .

• من صمم على حفظ كتاب الله وجد الوقت الملائم للحفظ والتكرار سواء كان ذلك اثناء راحته أو أثناء العمل لمن يناسب عمله ذلك أو في الطريق .
• على الشاب أو الصبي أن يهتم شبابه في الحفظ لان فكره اكثر استعداداً للحفظ من الكهل أو الشيخ . قال صلى الله عليه وسلم : **إِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ** (١١)

• إن في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه الصلاة والدعاء لحفظ القرآن اشارة الى ضرورة الايقان باستجابة الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام **أَدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْأَجَابَةِ** واعلموا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبُهُ غَافِلٌ **لَهُ** (١٢)

(١١) رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس واحمد وابونعيم في الخلية عن عمرو بن ميمون .
(١٢) رواه الترمذي والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه .

الباب الرابع العمل بالقرآن

٢٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ
ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا »
رواه ابو داؤد

في هذا الحديث بيان لمكافأة وثواب قاريء القرآن الذي يعمل به حتى
أن ثوابه لا يقتصر عليه وحده بل يعم الى والديه (إن كانا مؤمنين . أما
إن لم يكونا مؤمنين فلا يغني عنهما شيئاً)

لماذا يلبس والداه التاج يوم القيامة وهما لم يقرأ القرآن ولم يفعلوا ما
فعل ولدهما؟ الجواب على ذلك أنهما تسببا في صلاح ولدهما إما عن طريق
تعليمهما إياه وتربيتهما له وإما عن طريق دعائهما له أو لأنهما أنشأوا
صالحة عن طريق إطعامه الطعام الحلال . قال رسول صلى الله عليه وسلم :
«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ
بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (١) فالتوفي هنا تسبب في هذه الأمور الثلاثة
فثوابها يلحقه في حياته وبعد وفاته . وهنا الولد الصالح الذي قرأ القرآن
وعمل به هذا هو ثواب والديه فهما قد أرشدها على الخير والدال على
الخير كفاعله (إلا أن الله يضاعف الثواب لمن يشاء وليس معنى ذلك أن
الله يضاعف لفاعل الخير مثل مضاعفته للدال عليه فان المضاعفة لفاعل الخير
إن اخلصت النية لله ربما كانت أعظم من الدال عليه .)

(١) عن أبي هريرة رواه البخاري في الادب وسلم وابو داؤد والترمذي والنسائي .

٢٧ - عن النّوأس بن سمعان (٢) رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
يُولَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ
الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ مُحَاجَّاتٍ عَنْ صَاحِبِهِمَا

رواه مسلم

هذا الحديث يفسر الحديشين الذين سبقا تحت رقم ٧ و ٨ . فأهل القرآن أهل الله وخاصته ويأتي هذا القرآن شفيحاً لصاحبه الذي كان يعمل به في الدنيا ومقدمة القرآن البقرة وآل عمران فهما يتقدمان في الشفاعة والذود عن قارئيهما والعامل بهما ومن عمل بما في البقرة وآل عمران من أحكام فقد عمل بما في القرآن كله تقريباً لكثرة ما تحويان من احكام .

قال ابو سعيد الخراز (٣) رضي الله عنه أول الفهم لكتاب الله عز وجل العمل به لان فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقول الله عز وجل :

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (٤) كما قال : الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» (٥) والقرآن كله حسن ومعنى اتباع الأحسن ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط وأول إلقاء السمع لاستماع القرآن هو أن تسمعه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه عليك ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى

-
- (٢) هو النّوأس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي هو وابوه صحابيان .
(٣) ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز من أهل بغداد صاحب ذا النون المصري والسري السقطي وبشر الخافى وغيرهم من المشايخ ومن المتكلمين في علم الاخلاص . توفي سنة ٥٢٧هـ ودفن في الموصل
(٤) سورة ق الآية ٣٧

«وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» (٦)
ثم ترقى عن ذلك فكأنك تسمعه من الحق عز وجل .

وأخرج الدارمي عن علي رضي الله عنه انه قال : يا حاملة العلم اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون مع الخلق يباهي بعضهم بعضاً حتى أن الرجل ليفضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه . اولئك لاتصعد أعمالهم في مجالسهم تلك الى الله تعالى . .

٢٨ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ

متفق عليه

الحسد الممقوت هو تمنى زوال نعمة الغير والحسد الممدوح هنا هو تمنى الحصول على مماثلة المحسود في العلم أو في المال .

القيام بالقرآن آتاء الليل بتلاوته وتعلمه والتهجد به ويشبه أن يكون ذلك سرّاً لخفاء ذلك عن الناس . أما آتاء النهار فهو العمل به علناً أمام الناس لأمر الله تعالى بالعمل ولكي يكون قدوة لغيره فيصيه ثواب من اقتدى به .

تسلسل الحديث مبتدئاً بايضاح فضل من يؤتى القرآن ويعمل به ثم فضل من يؤتى المال ويشير ذلك الى فضل العلم على الصدقة . قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لكميل (٧) : يا كميل : العلم خير من المال . العلم يحرسك

(٥) سورة الزمر الآية ١٨

(٦) سورة الشعراء الآية ١٩٣

(٧) كميل بن زياد بن نهمل من اصحاب الامام علي رضي الله عنه من التابعين مات سنة ٥٨٢ .

وأنت تحرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه الصدقة والعلم يزكو بالانفاق (الإشارة الى نقصان المال بالصدقة هو النقصان الظاهري الذي يشهده الناس . أما عند الله فهو يربو ويزداد .)

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بحديث يرويه أبي كبشة الانماري (٨) رضي الله عنه حيث يقول : مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَيَقُولُ رَبِّ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا مَثَلُ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِهِ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ (وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مايعمل من غير حب زوال النعمة عنه) وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَيَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ لَكُنْتُ أَنْفَقْتُهُ مِثْلَ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ (٩) . وهكذا ذمته رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تحنيه للمعصية لامن جهة أن يمتنى أن يكون له من النعمة مثل ماله . فلاذن لاخرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها طالما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له . نعم إن كانت تلك النعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام . وإذا كانت النعمة من الفضائل كاتفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وإذا كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة (١٠) .

٢٩ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(٨) قال ابن حبان أبو كبشة هو سعيد بن عمرو وقيل عمرو بن سعيد الانماري المذحجي

(٩) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

(١٠) احياء علوم الدين للإمام الغزالي - الجزء الثالث صفحة ١٨٠

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا أُسْتَدْرَجَتْ النَّبِيُّ بَيْنَ جَنَّتَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ .
وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَرَأَ أَن أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ مَا صَغُرَ
اللَّهُ وَصَغُرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَسْفَهَ فِيمَنْ يَسْفَهَ أَوْ
يَغْضَبَ فِيمَنْ يَغْضَبُ أَوْ يَحْتَدَّ فِيمَنْ يَحْتَدُّ وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيَصْفَحُ لِفَضْلِ الْقُرْآنِ»
رواه الطبري

لقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياً بنص معين هو القرآن الكريم
والسنة بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن أوتي القرآن الكريم فقد
حصل على ما أوحى الله تعالى الى رسوله بنصه لكنه يفرق عن رسول الله بأنه
لا يوحى اليه وهكذا فان العلماء ورثة الانبياء لا يرثون الدرهم والدينار ولكن
يرثون العلم والعمل به ونشره بين الناس .

إن من تعظيم المرء لله تعالى تعظيمه لكتاب الله . ومن أوتي خيراً كثيراً
فعليه أن يشكر الله تعالى على تلك النعمة العظيمة وأن يشعر بكمثر تلك المنة
والفضل الذي آتاه الله تعالى إياه .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف
بليته اذا الناس ينامون وبهائه اذا الناس يفتطرون وبهزئه اذا الناس يفرحون
وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا
الناس يختالون وينبغي أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا
حمارياً ولا صائحاً ولا صخاباً ولا عنيداً .

وقال بعض الصالحين : علمت أن اهل القرآن يسألون كما يسأل الانبياء
(اي يوم القيامة) وفي الحديث الشريف نهي لأصحاب القرآن عن السفه
والغضب والحدة وأمر بالحلم والصفح وجملة الأمر أمر بحسن الخلق ومكارم
الاخلاق وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفته أم المؤمنين
عائشة رضي الله عنها « كَانَتْ خُلِقَهُ الْقُرْآنَ » (١١) . فان كان رسول الله صلى

(١١) رواه مسلم واحمد وابو داود .

الله عليه وسلم خلقه القرآن فالقرآن بيننا وعلى حماية القرآن التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهي أخلاق القرآن .

٣٠ - عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهَرَهُ فَأَخْلَحَ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ»

رواه الترمذي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبياناً للحلال والحرام : الحلالُ بَيْنَ والحرامُ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . فَمَنْ إِنْتَقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ . كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَوَاقِعَهُ . إِلَّا إِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى إِلَّا وَأَنْ حِمَى اللَّهِ تَحَارُمُهُ (١٢) وهكذا فالحلال في القرآن بين والحرام كذلك بين فيه . اما الامور المشتبهات فتعامل كما ورد في الحديث الاخير بالاجتناب خوفاً من الوقوع في الحرام . وهكذا من فعل ذلك أدخله الله به الجنة وشفعه في أهل بيته .

الشفاعة ثابتة في القرآن والسنة وهذا الذي قد قرأ القرآن وعمل بما فيه فانه يشفع لغيره بسبب فضله ومكانته عند الله تعالى وأولى من يشفع فيهم هم والداه لاستحقاقهم ذلك نتيجة تسببهما في ذلك الفعل وإن لم يكونا من أهل القرآن وهذه الشفاعة لا تتم الا باذن الله تعالى لمن يشاء فيمن يشاء ولا شفاعة لمن لا يؤمن بالله ورسوله . وكما أن شفاعة الولد لوالديه حتى فان شفاعة الوالد لولده هي ايضاً ثابتة في كتاب الله تعالى . فكما ذكر الله تعالى الدعاء للوالدين «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» (٣٣) ذكر دعاء الوالد لذريته

(١٢) عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري في الادب ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي

(١٣) سورة ابراهيم الآية ٤٠

« رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي » (١٤) وكذلك دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١٥) هذا الدعاء في الدنيا وكذلك الشفاعة في الآخرة حيث يكونون أحوج اليها حينئذ . فالشفاعة حق للانبياء والمرسلين وللقرآن والصيام والاعمال الصالحة و لعباد الله الصالحين واوليائه المتقين .

وفي هذا الحديث زيادة على شفاعة الرجل لوالديه الى أهل بيته ممن وجبت له النار . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وجزاء قراءته للقرآن واستظهاره له وعمله به في الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب . وكما يشفع الصالحون للوالدين والاقربين كذلك يشفعون باذن الله لمن علمهم او علموه ولمن له فضل عليهم ولمن احبهم وأحبوه في الله تعالى .

٣١ - عن أبي شريح الخزاعي (١٦) قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا» .
 * أخرجه ابن أبي شيبة .

قال الله تعالى : وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا » (١٧) فما أنزل الله القرآن الا هداية للبشر وهو كلام الله القديم المتزه الذي قاله ولم يزل يقوله فطرفه بيده . أما طرفه الآخر فهو المصحف الذي بين ايدينا فعلينا التمسك به فهو الحبل المتين الذي

(١٤) سورة ابراهيم الآية ٤٠

(١٥) سورة البقرة الآية ١٢٩

(١٦) هو حوالة بن عمر الخزاعي ثم الكعبي أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح توفي بالمدينة عام ٥٦٨ هـ .

(١٧) سورة طه الآية ١١٣

بيننا وبين ربنا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد صانه الله من التحريف والتبديل . قال الله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ أَنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١٨) فاذا ما اشتد الامر واختلف الناس واختلطت المسالك ولم يعرفوا ماذا يفعلون كانت الفرقة الناجية تلك التي تتمسك بكتاب الله تعالى ومن بعده سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في الحديث ٣٥ .

٣٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَمُحْكَمٌ وَمُنْشَأٌ وَأَمْثَالٌ فَأَعْمَلُوا بِالْحَلَالِ وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ وَأَمِنُوا بِالْمُنْشَأِ وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ»

رواه البيهقي .

الحلال بين في كتاب الله تعالى قال تعالى : « يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » (١٩) وهو بين واضح في آيات كثيرة مثل قوله تعالى : «فَانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» (٢٠) ومثل قوله تعالى : «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» (٢١) والحرام بين فالله تعالى قد حرم الخبائث . قال تعالى : فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٢٢) وفي آية أخرى : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقِيمُوا بِالْأَزْلَامِ (٢٣)

(١٨) سورة الحجر الآية ٩

(١٩) سورة الاعراف الآية ١٥٧

(٢٠) سورة النساء الآية ٣

(٢١) سورة البقرة الآية ١٨٧

(٢٢) سورة الحج الآية ٣٠

(٢٣) سورة المائدة الآية ٣٠

والمحكم هو الثابت الحكم والذي يعطي قاعدة قانونية محكمة مثل قوله تعالى : «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» (٢٤) ومثل قوله تعالى «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا » (٢٥) فذلك مما يجب اتباعه والعمل به كما ورد في الحديث .

والمتشابه هو ما كان غير واضح المعنى لبعض الناس ومن أمثاله الحروف الموجودة في أوائل بعض السور مثل الم ، ص ، المص ومثله ايضاً الآيات الدقيقة المعنى مثل قوله تعالى : «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» (٢٦) فالاستواء معلوم لكن في حق الله تعالى لانعلم كيف يكون ذلك فلا يشبهه استواء أحد من خلقه فليس كمثله شيء . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتفكر في خلق الله ولا نتفكر في ذات الله تعالى . ورغم أن الكثير من الآيات المتشابهات لبعض الناس محكمات واضحات للراسخين في العلم وبعض الآيات المتشابهات غير الواضحات في زمن ما يتضح معناها وتكون محكمة في زمن آخر فان على المؤمن أن يؤمن بمثل هذه الآيات ولا يتقرب عن دقائقها بغير علم .

والامثال في القرآن الكريم للاعتبار والعظة منها امثال عن الامم السالفة ومنها تشبيهات بأمر محسوس . قال الله تعالى : «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» (٢٧) فالله يضاعف الحسنات . الحنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف كيف يشاء ولمن يشاء مثل ما يخرج من الحبة الواحدة سبعمائة حبة والله على كل شيء قدير وعلى المؤمن الاعتبار بتلك الامثال واخذ العظة .

(٢٤) سورة النساء الآية ١١

(٢٥) سورة المائدة الآية ٣٨

(٢٦) سورة طه الآية ٥

(٢٧) سورة البقرة الآية ٢٦١

٣٣ - سئل عبد الله بن أبي أوفى : (٢٨) أوصى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا .

قلت كيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوصي ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل

رواه الجماعة الابا داؤد

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوصي أمته من بعده بأفضل من اتباع كتاب الله فهو الكتاب الذي يخوي وصية الله ورسوله لأئمة بعده قال الله تعالى :

«أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ . أَنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (٢٩) .

اما وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخرى فهي أحاديثه وسنته التي نقلها عنه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والفقهاء من سؤال الصحابي عن كتابة الوصية أن الله تعالى قال : «كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا : الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» (٣٠) فالله تعالى أمر الناس بالوصية كما أمر صلى الله عليه وسلم من كان عليه دين أو أمر يستحق الوصية أن يكتب وصية ولا يؤجلها فالموت أقرب لابن آدم من شراك نعله .

(٢٨) هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي كان آخر من مات من الصحابة في الكوفة سنة ٨٧ هـ ولا شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة حنين وكان من أصحاب الشجرة

(٢٩) سورة التكوير الآية ٥١

(٣٠) سورة البقرة الآية ١٨٠

٣٤ - عن جابر بن عبد الله (٣١) رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : «أما بعدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ثم يرفع صوته وتحمر وجته و يشند غضبه اذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش . قال ثم يقول : «أَتَكُمُ السَّاعَةُ» . بَعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا - وأشار باصبعيه السبابة والوسطى - صَبَحْتَكُمْ السَّاعَةُ وَمَسَّكُمْ . مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِياعًا فَلِيَّ وَعَلَيَّ» رواه الامام احمد

من أسس الايمان الرئيسة : الايمان بكتاب الله وبأنه أصدق الحديث فمن شك في صدق شيء منه او اتخذ كتاباً آخر وفصله على كتاب الله عز وجل أو إعتقد بانه أصدق من كتاب الله فهو كافر خارج عن ملة المسلمين . وبليه في وجوب الاتباع : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والبدعة كل أمر محدث يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية أو أحد الاسس الواردة فيهما . ويوضح هذا التعريف حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (٣٢) فالأحداث في الدين ما ليس منه هو البدعة . أما أحداث أمر من الدين فهو ليس بدعة فمثلاً إن دحض شبهات اعداء الاسلام بحجج جديدة هو من الدين وغير مشمول بحديث البدعة فهو أمر حسن ، وهكذا يمكن معرفة كل أمر مستحدث هل هو سنة حسنة أم بدعة سيئة . ولتأخذ مثالين على ذلك :

التدخين بدعة لانها ليست من الدين وليس هناك في الدين ما يؤيد استنشاق المرء للدخان فليس هو بطعام أو شراب مما احل الله .

(٣١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري السلمي شهد ١٩ غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا غزوة بدر وأحد وله قتل أبوه فيها . عاش ٩٤ سنة وتوفي سنة ٨٧٤ .

(٣٢) رواه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها

ومثال السنة الحسنة استخدام مكبرات الصوت في الأذان مثلاً فهو أمر مستحدث لكنه حسن لأن من مايدعو اليه الدين إبلاغ صوت المؤذن لأبعد مسافة ممكنة . واستخدام آلة جديدة تساعد بذلك أمر حسن . وقس على ذلك كل أمر مستحدث للتفريق بين البدعة والسنة الحسنة .

٣٥- عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«أَلَا إِنَّمَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَقُلْتُ مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَّا قَبْلَكُمْ وَخَبَرٌ مَّا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَّا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَنِي مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَى الْهَدْيَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِيسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِيهِ . هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجَنُّ أَوْ سَمِعْتَهُ حَتَّى قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَّمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

رواه الترمذي

هذا الحديث الشامل لصفات كتاب الله تعالى . حديث عظيم الشأن . ينبغي التمعن فيه فهو جواب شافي للمخرج من الفتن في أي وقت حدثت وجوابها هو العودة الى كتاب الله تعالى فان فيه :

. نبأ ما قبلنا من أخبار وقصص لأمم سلفت . كذبت فمحقّت أو صدّقت فاثبتت

. وخبر ما بعدنا من أخبار الى يوم القيامة وقيام الساعة منها نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وغيره مما يفقهه من يفقهه ويجهله من يجهله .

. وحكم ما بيننا من أحكام القصاص والاحوال الشخصية والمعاملات بين الافراد والجماعات في أحوال الرخاء والشدة والسلم والحرب

• هو الفصل . أحكامه قاطعة وقواعده الاصولية ثابتة وواضحة محمد السيف

• ليس بالهزل فكله جدٌ ليس فيه آية هزل وهو قول فصل . إما حلال وإما حرام أو محكم أو متشابه أو قصص وأمثال .

• من تركه من جبار قصمه الله تعالى فالقرآن يأمر بالعدل والاحسان والعدل هو أساس الملك فمن ترك العدل من أولي الامر عاقبه الله وأخذه أخذ عزيز مقتدر .

• من ابتغى الهدى في غيره أضله الله . فليس هناك هدى في شريعة يضعها غير الله ومن أراد العزة ففيه العزة ومن ضل عن هداه الى ماسواه أخرزه الله في الدنيا وللعذاب الآخرة أشد .

• هو جبل الله التين طرفه بيد الله وطرفه الثاني بأيدينا فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لانقسام لها .

• وهو الذكر الحكيم . فمن أراد ذكر الله فلا أفضل من تلاوة كتابه فكله حكمة .

• هو الصراط المستقيم . من سار على نهجه فلن يكون من المفضوب عليهم ولا من الضالين .

• لاتزيع به الالهواء . فمن ابتغى الهوى في تفسيره وأحكامه فلن يلبث أن تنكشف حباله لأن الله وعد بحفظه فقال : إِنَّا غَنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٣٣) .

• لاتلتبس به الألسنة فهو قرآن عربي مبين اللفظ متواتر النص لن يزداد فيه حرف او ينقص منه .

(٣٣) سورة الحجر الآية ٩

• لا يشبع منه العلماء فكل علوم الشريعة من القرآن وكل ما نهلوا فانما من بحره ومن أراد المزيد فلن يروى غليله .

• لا يخلق على كثرة الرد فكلما تلى القرآن مرة بعد اخرى وجد القارىء له حلاوة وكأنه يتلوه من جديد وظهرت له معان جديدة وفهمه المؤمن فهماً جديداً ولن يشعر به أحد أنه قد أصبح عتيقاً إلا من قد أعمى الله بصيرته فضلً عن سواء السبيل، فقد تحدى الله تعالى أن يؤتى ولو بآية من مثله وهذا التحدي قائم الى يوم القيامة ولن يستطيع أن يأتي بشر بآية من مثله .

• لا تنقضي عجائبه : فما ظهر من عجائبه بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر بكثير مما ظهر في حياته وما سيظهر في المستقبل كثير وكثير .

• لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي الى الرشـد (٣٤) فهو كتاب الله لهداية الجن والانس وما كان عجيباً للجن فهو أعجب منه للانس وما قد هدى الجن الى الرشـد يهدي الانس الى ما هو أرشد

• من قال به صدق فكله حق وليس فيه غير الصدق .

• ومن عدل به أجر فالعمل وفقه يضاعفه الله : الحسنة بعشر أمثالها الى ما شاء الله .

• من حكم به عدل سواء كان الحكم للمرء مع نفسه او مع أسرته أو مع مجتمعه أو حكم بين الناس فليس فيه غير العدل .

• من دعا اليه هدى الى صراط مستقيم . فهو دليل الدعاة الى الحق وهو الصراط المستقيم .

• أو ليس في هذا الحديث أشمل وأدق وأروع وصف للقرآن الكريم .
.. فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد اوتي جوامع الكلم وما ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى (٣٥)

(٣٤) سورة الجن الايتان ١ و ٢

(٣٥) سورة النجم الايتان ٣ و ٤

٣٦- عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره الى نخلة فقال : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ ؟ أُنَّ خَيْرَ النَّاسِ رَجُلٌ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى ظَهْرِ قَرِيْبِهِ أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيْرِهِ أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ وَأَنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلًا فَاجِرًا يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ»

رواه احمد والنسائي والحاكم وصححه .

خير الناس المجاهدون في سبيل الله الذين يستمرون في ذلك حتى يأتيهم الموت وشرا الناس الفاجر الذي يقرأ القرآن ولا يعمل بشيء منه . والفاجر هو المرتكب للمعاصي سواء كان مسلماً ام غير مسلم . ويشمل ذلك في زمننا هذا المستشرقين وتلامذتهم المائثرين على نهجهم من المسلمين وعلماء السوء كما سيأتي في الاحاديث الثلاثة التالية .

قال بعض العلماء : ان العبد ليتلو القرآن فيلحن نفسه وهو لا يعلم . يقول : « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » (٣٦) وهو ظالم لنفسه « أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (٣٧) وهو منهم .

قال ابو سليمان الدارني : الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عزوجل منهم الى عبدة الاوثان .

وقال بعض السلف : ان العبد ليفتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتح السورة فتلعنه حتى يفرغ منها قيل وكيف ذلك ؟ فقال اذا أحلّ حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلآلعتة .

وروى ابن ماجه من حديث جندب قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا العلم قبل القرآن وسيأتي قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون

(٣٦) سورة هود الآية ١٨

(٣٧) سورة آل عمران الآية ٦١

حروفه ويضعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ أولئك شرار هذه الامة .
 وقال قتادة : لم يجالس أحد هذا القرآن إلا أقام بزيادة أو نقصان . وقال الله تعالى : « وَتَرَكُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » (٣٨)
 ٣٧ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ يَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ . يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَتَمَارَى مِنَ الْقَوْلِ »
 رواه الاربعة

المروق من الدين : أخذ ما يوافق هوى النفس وترك ما سواه
 والمعنى اللغوي للمروق هو سرعة الخروج أي يخرجون من الدين بسرعة
 كسرعة السهم من الرمية .

وروى مسلم وأبو داود والنسائي هذا الحديث بلفظ : «يأتي في آخر الزمان قومٌ خُدثاءُ الأسنان سَفَهَاءُ الأحلام يقولون من خير قول البرية يَمُرُّونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يَجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْسَنَ لَقَبْتُمُوهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِّمَن قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وينطبق هذا الحديث على من أوتي علماً وسعة اطلاع في علوم الشريعة لكنه لا إيمان له كالمستشرقين وتلامذتهم يتكلمون كلاماً معسولاً عليه صبغة الدقة والعلمية والرغبة في الوصول الى الحقيقة لكنه يخفي في جنباته الحقد على الاسلام ومحاولة الطعن فيه وهدمه بأساليب خبيثة .

وينطبق أيضاً على المبتدعين من أهل الأهواء الذين اقتنعوا بأفكار فاسدة وهم يريدون أن يشتوها بالأخذ من الدين ما يوافق آراءهم وترك سائره ويسلكون في سبيل ذلك أسلوب جمع المعلومات المؤيدة لأهوائهم وبدعهم وبهذا يظهر أن البسطاء والسذج كعلماء مدققين مقنعين في كلامهم ومصيبين في استنتاجاتهم .

قال معاذ بن جبل (٣٩) رضي الله عنه : « إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والحر والعبد فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ! ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره ! فإياكم وما يبتدع فإن من ابتدع ضلالة واحذركم زيفة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق . فقل له ما يدريني رحمك الله أن الحكيم يقول كلمة الضلالة وإن المنافق يقول كلمة الحق قال بلى . اجتنب من كلام الحكيم المستهترات التي يقال ما هذه ؟ ولا يشينك ذلك عنه وأنه لعله يرجع ويتبع الحق إذا سمعه فإن على الحق نوراً .

٣٨ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَآؤُهَا »

رواه أحمد والبيهقي وابن عدي والطبراني

قال الله تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي التَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » (٤٠) .

النفاق هو إخفاء الكفر والوجود وإظهار الإيمان . وقد ظهر النفاق في المدينة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى الآيات البيّنات

(٣٩) معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي الامام المقدم في علم الحلال والحرام شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى احاديث كثيرة عنه وأثره رسول الله على اليمن وقد دعا له رسول الله ووصفه بأنه اعلمهم (الصحابه) بالحلال والحرام توفي بالطاعون في

الشام عام ١٧٧ وعمره ٣٤ سنة .

(٤٠) سورة النساء الآية ١٤٥ .

نبينا لصفاتهم وشدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعيدهم مظهرأ
 خصلهم . قال تعالى : «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَاتَى يُرَاوُونَ النَّاسَ
 وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » (٤١) فهم يظهرون حسن الكلام «وإن يقولوا
 تسبح لِقَوْلِهِمْ » (٤٢) ويطنون بملاة الكفار « وَأَذا خَلَوْا إِلَى شَياطِينِهِمْ قَالُوا
 إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ » (٤٣) وصفتهم في الحديث الشريف : «آية
 المنافق ثلاث إذا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذا أُؤْتِيَ خَانَ » (٤٤) .
 فالمنافقون ليسوا جهلة أميين بل هم متعلمون لكن لايمان لهم . فاكثر
 المنافقين في هذه الامة هم ممن يقرأ القرآن ويستهزيء بأحكامه لفظاً أوفعلاً .
 ان المعاصي التي يرتكبها المسلم واتباع الهوى كل ذلك قد يقوده الى النفاق
 فهي تحجبه عن رؤية الحق وتميزه عن الباطل . فهو رغم معرفته بالآيات
 البينات إلا أنه لايجد الرغبة في اتباعها . قال أحد العلماء : الغريب هو
 القرآن في جوف الفاجر .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أنزل القرآن عليهم ايعملوا به
 فاتخذوا دراسته عملاً . إن احدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته
 مايسقط منه حرفاً وقد اسقط العمل به .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه
 على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب . وقال الحسن البصري (٤٥)
 رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلوب وموت القلب طلب الدنيا بعمل
 الآخرة .

(٤١) سورة النساء الآية ١٤٢

(٤٢) سورة المنافقون الآية ٤

(٤٣) سورة البقرة الآية ١٤

(٤٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن انس بن مالك .

(٤٥) الحسن بن ابي الحسن البصري اسم ابيه يسار وهو فقيه فاضل مشهور وهو من اواسط

اتباعين توفي سنة ١١٠ هـ وله تارب اثنين

وقال الشعبي (٤٦) يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار ولما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله
 ٣٩ - قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَ ظُلَمٍ لَبَّرَ عَنْهُ لَعْنٌ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ لَعَنَاتٍ .

رواه البخاري في التاريخ الكبير بسند صالح
 قال سفيان الثوري (٤٧) في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة بن اليمان (٤٨) رضي الله عنه : إياكم ومواقف الفتن قبل وما هي قال ابواب الامراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكاذب ويقول فيه ما ليس فيه .

وقال مكحول الدمشقي (٤٩) من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقاً اليه وطمعاً فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال : وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستغفلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم .

-
- (٤٦) هو عامر بن شراحيل ابو عمرو الشعبي ثقة مشهور وفيه فاضل من صفات التابعين . توفي بعد عام ١٠٠ هـ وله من العمر ٨٠ سنة
 (٤٧) سليمان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي يكنى بأبي عداة وهو ثقة حافظ وفيه عابد إمام حجة من كبار اتباع التابعين توفي سنة ١٦١ وعمره ٦٤ سنة
 (٤٨) هو حذيفة بن اليمان واسم ابيه حل . أسلم هو وأبوه وأرادا شهود معركة بدر فصعدا المشركون وفهدا أحداً . توفي بالمدينة عام ٥٣٦ وله روى أحاديث كثيرة وكان مؤتمن سر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٤٩) مكحول ابو عداة الدمشقي القامي ثقة فقيه مشهور وهو من صفات التابعين مات سبعة وخمسة عشر ومائة

وكما أن تلاوة القرآن تضاعف بكل حرف عشر حسنات كما ورد في حديث سابق (الحديث ٢٠) فكذلك من يستخدم القرآن عند الظلمة ليرفع من شأنهم فعليه بكل حرف منه عشر لعنات وهكذا كل من استهزأ بحرمات الله واستخدم الدين ابتغاء عَرَضٍ من أعراض الدنيا. ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ كَثِيفًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ » (٥٠) فالقاريء الذي يكتُم قول الحق ابتغاء ثَمَنٍ قليل ومتاع زهيد من متاع الدنيا ، إنه إنما يأكل ما يأكل ناراً وسيصلى سعيراً

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : أَخْشَى عَلَيْكُمْ زَلَّةَ عَالَمٍ وَجَدَالَ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ . والقرآن حق وعلى القرآن منار كنار الطريق ومن لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيأ له .

البَابُ الْخَامِسُ

كيفية تلاوة القرآن

قال الله تعالى «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (١) وقال في آية أخرى: «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» (٢). لذلك يجب الاعتناء بكيفية التلاوة واسلوبها تعظيماً لكتاب الله تعالى: «وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (٣)

٤٠ - عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ أَلْوَاهَكُمْ طُرُقُ الْقُرْآنِ فَطَيِّبُوهَا بِالسَّوَالِكِ»
رواه البزار بسند جيد.

الاستياك مطهرة للغم مرضاة للرب . فمن أكرم القرآن بتطيب فمه فقد عظم شعائر الله تعالى . لذلك فان الوضوء لتلاوة القرآن مستحب من باب أولى .

هذا وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن على كل حال إلا أن يكون محدثاً وذلك دليل على جواز التلاوة على غير وضوء ولكن التلاوة مع الوضوء أفضل .

(١) سورة النحل الآية ٩٨

(٢) سورة المزمل الآية ٤

(٣) سورة الحج الآية ٣٢

ولمس المصحف عن طهارة تعظيم لشعائر الله أيضاً وتطبيق حرفي لقوله تعالى «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (٤) وهو المشهور عن جمهور العلماء انه لا يجوز لمس المصحف بغير وضوء .

سئل سعيد بن المسيب (٥) رضي الله عنه عن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال أكسره أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكئ . وكلام الله تعالى أولى بالتعظيم من حديث رسوله ويستحب استقبال القبلة واطراق الرأس وعدم التربع أو الاتكاء أو الجلوس على هيئة من هيئات التكبر ، وكان الامام مالك بن انس (٦) رضي الله عنه يتطيب ويلبس فاخر ثيابه عند تحديثه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بتلاوة كلام الله تعالى .

وأفضل القراءة هي في الصلاة قائماً مع الترتيل والبكاء في جوف الليل خالياً فان قرأ جالساً او مضطجعاً جاز ذلك وله فضل في ذلك أيضاً ولكن أقل من الاول . قال الله تعالى : «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٧) وقد أشر عن رسول الله الله عليه وسلم تلاوة سور وآيات وهو مضطجع قبل نومه .

كما ان تطهير القم بالسواك مستحب وفق هذا الحديث فان ترك تناول ما يعطي رائحة خبيثة للقم امر مستحب أيضاً فينبغي عدم تناول القوم والبصل قبل تلاوة القرآن . والتدخين من الخبائث التي تعطي رائحة كريهة لقم المدخن

(٤) سورة الواقعة الآية ٧٩

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المغزومي أحد كبار التابعين ومن الفقهاء الكبار كان أوسع التابعين علماً توفي بعد عام ٨٩٠ وله ناهز الثمانين

(٦) مالك بن انس بن مالك الاصبحي امام دار الهجرة وهو من تابع التابعين واحد الائمة الاربعة المجتهدين قال البخاري عنه اصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة ١٧٩ وله بلغ ٩٠ سنة

(٧) سورة آل عمران الآية ١٩١

فلا كلام عنه مرضاة الرب مطهرة للقم وهو من هوى النفس الذي قال الله تعالى عنه : «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسَى النَّفْسَ الَّتِي حَوِيَ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» (٨) .

والحديث الشريف هذا يدل على ضرورة الاعتناء بالظاهر وفي الوقت نفسه الاهتمام بالباطن. فما انزل الله تعالى القرآن الا ليعمل به لكن مقدمة العمل هي التلاوة والتدبر ومن تلى وتدبر وعظم التلاوة فقد عمل بالقرآن نفسه أول ما تلى بل وقبل التلاوة وهكذا فان الشريعة عموماً تطالب بتحسين الظاهر والباطن على حد سواء ولا صحة لمن يدعي اهتمامها بجانب واحد هو سلامة الباطن منطوفاً بحديث «لِنَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (٩) فرغم صدق ذلك وان الحديث يعتبر أصلاً عظيماً من اصول الشريعة إلا ان الحديث لا يعطي حتى ولو اشارة الى ترك الاعتناء بالظاهر وتركيز الاهتمام كله على الباطن . ولو كان الاسلام يعني بتطهير الباطن فقط لما اشترط للصلاة قياماً او قعوداً ولا ركوعاً او سجوداً بل اكتفى بدعاء القلب فقط . وان خير الاعمال ما اقترن فيه صدق الباطن بسلامة الظاهر.

واذا كان القم هو طريق القرآن ومن السنة تطيبه بالسواك اكراماً للقرآن اليس من الاولى اكرام القرآن بتطيب القم بتجنيبه فحش الكلام وقول الزور والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والهمز واللمز والاستهزاء وقهقهة الضحك والتدخل فيما لا يعني «وَهَلْ يُكَبِّرُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَا خَرَجُوا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَصَائِدُ السِّبْغِ» (١٠) .

(٨) سورة النازعات الايات ٤٠ و ٤١

(٩) متفق عليه

(١٠) أخرجه الترمذي وصححه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الواحظ بما نقول فقال لكلك أمك يا معاذ وهل يكب .. الحديث .

وقال أبو الليث السمرقندي : لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة كما انه لا بأس ان تقرأ الآية التي فيها دعاء بنية الدعاء .

ويروى عن الامام الشافعي (١١) في قوله القديم انه كان يجيز للحائض ان تقرأ القرآن خشية النسيان .

٤١ - تَعَتَّتْ أُمُ سَلَمَةَ (١٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هِيَ تَتَعَتُّ قِرَاءَةَ مَفْسَرَةٍ حَرْفًا حَرْفًا

أخرجه ابو داؤد والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح

القراءة المفسرة حرفاً حرفاً هي إخراج كل حرف من مخرجه الصحيح وهي أساس قواعد التجويد . روى البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «مَنْ قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير اعراب كان له بكل حرف عشر حسنات» .

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لئن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهاما واتدبرهما أحب اليّ من أن أقرأ القرآن كله هذمة . وسئل مجاهد (١٣) عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا ان أحدهما قرأ البقرة فقط والاخر قرأ القرآن كله فقال هما في الأجر سواء .

٤٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّهُ سُئِلَ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَمْدُ بِسْمِ اللَّهِ وَيَمْدُ بِالرَّحْمَنِ وَيَمْدُ بِالرَّحِيمِ .

رواه البخاري وأبو داؤد .

(١١) هو محمد بن ادريس الشافعي الملقب احد ائمة الاربعة المجتهدين اعتبره اغلب العلماء المجدد على رأس المائتين بعد الهجرة توفي سنة ٢٠٤ هـ وله ٥٤ سنة .

(١٢) أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة كانت زوج ابن عمها ابو سلمة فمات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٤ هـ وكانت عن اسلم وهاجر الى الحبشة ماتت سنة ٥٩ هـ

(١٣) مجاهد بن جبر ابو الحجاج المخزومي المكي كان اماماً في التفسير وفي العلم من اواسط التابعين توفي سنة ١٠١ هـ وله ٨٣ سنة .

ينبغي للمسلم أن يتعلم قواعد التجويد ويطبقها في قراءته للقرآن بل وفي لفظه للغة العربية وما قواعد التجويد سوى أسلوب للفظ الكلام العربي بصيغته المتقنة الصحيحة باخراج كل حرف من مخرجه الصحيح واعطاء الكلام جمال الصوت الممكن بما يضيف على التلاوة خشوعاً وبهاءً وتأثيراً لدى السامع وتعظيماً للكلام الله تعالى .

وحسن التلاوة والترتيل تؤكد الاهتمام بظاهر التلاوة اضافة الى بواطنها من تطبيق للاحكام وايمان بالقلب فالله هو الظاهر وهو الباطن ويريد ان يتخلق العبد باخلاق الله فينظف ظاهره وباطنه ويعتني بجمال تلاوته للقرآن وفي الوقت نفسه يحسن تطبيق الاحكام ..

٤٣ - عن عائشة رضي الله عنها قالت أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال أين كنت ؟ قلت كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد قالت فقام فقمتم معه حتى أستمع له ثم التفت إلي فقال : « هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا »

رواه ابن ماجه باسناد جيد

سالم رضي الله عنه كان عبداً لابي حذيفة فاعنته فما عرف إلا بسالم مولى ابي حذيفة . كان حسن الصوت ومن كبار علماء الصحابة واتفقوا عليهم رضوان الله تعالى عليهم : قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أراد أن يعهد بالخلافة من بعده لسنة الشورى : لو كان سالم مولى ابي حذيفة حياً لوليت الخلافة من بعدي . وهكذا يرفع الله الموالى من العبيد بفضل كتابه الى درجة الترشيح للخلافة . وعن ؟ من عمر بن الخطاب لولا أنه قد توفي قبله . وهكذا « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١٤) . وكفى بتركية رسول الله صلى الله عليه وسلم له إذ قال :

(١٤) سورة المجادلة الآية ١١

الحمد لله الذي جعل في امتي مثل هذا وما كان ذلك الا بفهمه القرآن وحبسه
تأمرآن وتلاوته للقرآن وعمله بالقرآن

وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع تلاوة أبي مسوس
الاشعري ويصفه بأنه اوتي مزماراً من مزامير آل داود لحسن صوته وحلاوته
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه ذكرنا
ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا امير المؤمنين
الصلاة الصلاة فيقول أو لسا في صلاة ؟ : اشارة الى قوله تعالى «وَلَذِكْرُ
الله أَكْبَرُ» (١٥) .

٤٤ - عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»

أخرجه البخاري

يقول الامام الشافعي رضي الله عنه : التغنّي بالقرآن هو أن يتحزن ويترنم
به . وسئل ابن ابي مليكة (١٦) قبل له أرايت ان لم يكن الرجل حسن
الصوت فقال يغنسه ما استطاع وقد ورد في الصحيحين عن جبير بن مطعم (١٧)
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور فدا سمعت أحداً أحسن صوتاً او قراءة منه فلما سمعته قرأ «أَمْ خُلِقُوا
مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» (١٨) كاد قلبي يطير وكان جبير لما سمع
هذا بعد مشركاً على دين قومه وانما كان قدم في فناء الاسارى بعد بدر . وقدا .
سمع المؤلف أحد النصارى يقول : ان جلدي ليقشع حين اسمع «إياك
تعبك وإياك تستعين» وأشعر بان ذلك هو ابلغ مناجاة لله .

(١٥) سورة التكبوت الآية ٤٥

(١٦) هو عبدالله بن عبدالله بن ابي مليكة ويقال ان اسم ابي مليكة زهير التميمي المدني .
ادرك ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فقيه كبير توفي سنة ١١٧هـ
(١٧) هو جبير بن مطعم بن عدي القرشي أسلم قبل الفتح وتوفي في خلافة معاوية وكان من
أكابر لريش واعلمها بالانساب .

(١٨) سورة الطور الآية ٣٥

إن من آداب تلاوة القرآن البدء بالاستعاذة لقوله تعالى «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (١٩) . وقد اختلف العلماء هل الإسرار بالقرآن أفضل ام الجهر فالإسرار أبعد عن الرياء والتصنع وعدم التشويش على الآخرين حيث ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً على أصحابه وهم يصلون في المسجد فقال : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّكُمْ يُتَاجَى رَبَّهُ فَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ». اما الجهر بالقراءة فانه يوقظ قلب الناريء ويجمع همه الى الفكر ويصرف اليه سمعه ويطرد النوم ويؤثر في غيره او يوقظهم للتهجد فان كانت النية خالصة في ذلك كان الجهر أفضل .

٤٥ - عن فضالة بن عبيد (٢٠) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

«لَا أَشَدُّ أَدْنًا إِلَيَّ قَارِئِ الْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ أَلَى قَيْنَتِهِ»

رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه

من أقبل على الله اقبل الله عليه ومن تقرَّب الى الله شبراً تقرب الله منه ذراعاً ومن اتى الى الله مشياً اتاه الله هرولة . ومن قرأ كتاب الله ورتلته وحسن صوته فيه خشوعاً لله واقبالاً عليه وتقرُّباً اليه فالله ينصت له ويسمع ويباهي به ملائكته . ان العبد بتقربه الى الله تعالى لا يقدم نفعاً لله تعالى وانما يقدم عملاً صالحاً لا يبد وان يكون ثوابه تقرُّب الله منه وانصاته لدعائه ورفع درجاته في الدنيا والاخرة والله لا يشغله اصغاهه لعبد عن عبيده ولا فرحه بتوبة عبد عن غضبه على عصيان الآخر . فالعبد اذا قرأ كتاب الله أصغى الله لتلاوته والله المثل الاغلى فالله اشد اصغاء لعبيده من صاحب الآلة الموسيقية الى آله وهل اصغاء الله لقارئ القرآن سوى رفع الدرجات وتكثير الحسنات وتكفير السيئات وإجابة للدعوات وبركة من الله وهداية الى الصراط المستقيم

(١٩) سورة الامراء الآية ٢٠٠

(٢٠) صحابي من الانصار اسلم لديماً ولم يشهد بدرأ وشهد احد لما بعدها وشهد فتح مصر والشام ولاه معاوية قضاء دمشق بعد ابي الدرداء وكان ممن بايع تحت أشجرة توفى في خلافة معاوية

٤٦ - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَاصْوَاتِهَا وَأَبَاكُمْ وَلُحُونُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ وَأَهْلِ الْفِسْقِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُرْجِعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغَنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ مَقْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ مَنْ يَعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ»

أخبره الطبراني والبيهقي

نقل عن الامام مالك تحريم القراءة بالألحان وحكى الماوردي عن الامام الشافعي أن القراءة بالألحان اذا انتهت الى إخراج بعض الالفاظ عن مخارجها حرمت .

اما الأمر هنا بالتلاوة بالألحان فان ذلك ضمن قواعد اللغة العربية وما توارثه العرب . والنهي عن الألحان المبتدعة سواء ما اقتبس من اليهود والنصارى او ما تعارف عليه اهل الفسق والمجون من اغان والحن متميعة فالألحان الغنائية والرهبانية للقرآن كلاهما حرام . ومن اهتم بتجميل الصوت خارج قواعد التجويد وما تعارف عليه العرب والمسلمون لابد له وأن يفقد روح التلاوة من تدبر وخشوع وحلاوة .

ان مخالفة اهل الكتاب من اليهود والنصارى قاعدة اصولية ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى» او «خَالِفُوا الْيَهُودَ الْمَاجُوسَ أَهْلَ الشَّوَارِبِ وَأَوْفِرُوا النَّحْيَ» (٢١) وكذلك ينهى الله تعالى المسلمين عن توليهم : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» (٢٢) .

يحتوي هذا الحديث اشارة الى النهي حتى عن أن يعجبنا شأن المبتدعين والمخالفين لأوامر الله او الذين يتغنون بالقرآن خارج حدود التلاوة الشرعية

(٢١) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظ مسلم خالفوا المشركين

(٢٢) سورة المائدة الآية ٥١

المحددة بمواعيد التجويد والترتيل فالرسول صلى الله عليه وسلم حدد الإيمان بأن يكون الهوى تبعاً للشرعية بقوله : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ» وهو بذلك يدعو المسامحين لتحويل أهوائهم لكي تكون تبعاً لما أنزل الله من كتاب وسنة ومن لا يكون هواه تبعاً لذلك فإيمانه ناقص ولذا فمن أعجبه تلاوة من يتلو غناء أو رهبانية فإن قلبه مفتون ويخشى أن يكون من الضالين وهكذا فإن الاسلام لا يكفي بالامر بالعمل بل يعمل على صقل الاهواء والرجبات لكي تكون موافقة لما يحبه الله ويرضاه .

٤٧ - عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاغَعْتُهُ ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى إِنْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ»

رواه الشيخان

انزل القرآن الكريم بلغة العرب وبين قبائل العرب يوم نزل القرآن اختلاف في بعض اللفاظ أو في معانيها . لذلك وتوسعة على الامة انزل القرآن بلغات قبائل العرب على سبعة احرف ويقصد بالحرف - قراءة - اي على سبعة قراءات ومنها اشتقت القراءات السبعة . والحكمة في ذلك التيسير . قال تعالى «وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» (٢٣) فالقراءات السبعة ثابتة بالقرآن والسنة ونجوز القراءة بأي منها وقد قام سلف الامة من علماء القراءات بتحديد القراءات المتواترة التي أخذتها الامة جيلاً بعد جيل ومن اراد الاستزادة فليرجع الى الكتب المعتمدة في القراءات وهذا العلم من علوم القرآن الجليلة

٤٨ - عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«الماهرُ بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يَشْتَدُّ عليه
له أجران»

رواه الاربعة

السفرة هم الملائكة الذين يتلون القرآن في عالم الملكوت وهم لا يعصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال الله تعالى : «في صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ تَأْتِي سَفَرَةَ كَرَامٍ بِرَّزَّةٍ» (٢٤) فمن سهل عليه القرآن
تلاوة وحفظاً وترتيلاً فهو مع هؤلاء الملائكة الذين آتاهم الله القرآن فهم
ماهرون به وهو سهل عليهم. أما من يقرأ القرآن ويجد صعوبة في ذلك كأن
يكون سيء الحفظ أو أمياً تصعب عليه القراءة أو غير عربي لا يحسن النطق
الصحيح أو تصعب عليه قراءة الحروف العربية ككل هؤلاء لهم أجران أجر
التلاوة الصحيحة السليمة الميسرة وأجر الصعوبة التي يتكبدونها والأجر هنا
على قدر المشقة .

ورفع الامام الاوزاعي (٢٥) رضي الله عنه حديثاً عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَرَأَ فَحَرَفَ أَوْ أَخْطَأَ كَتَبَ الْمَلَكُ كَمَا نَزَلَ» .
وهنا معنى حَرَفَ أي نسي فحرف بعض التلاوة ودليل ذلك قوله تعالى :
«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (٢٦) . أما إذا كان مقصراً في عدم تكرار
التلاوة دون عذر فليس ممن يقرأ القرآن وهو يَشْتَدُّ عليه ولا يشمل بهذا .
الحديث بل بالأحاديث السالفة (٢٢ و ٢٣ و ٢٤) .

(٢٤) سورة عبس الايات ١٣ - ١٦

(٢٥) عبدالرحمن بن عمرو بن ابي عمرو الأوزاعي يكنى بابي عمرو فقيه ثقة جليل من أتباع
التابعين مات سنة ١٥٧هـ وقرنه معروف في بيروت .

(١٠٠) سورة البقرة الآية ٢٨٦

وهنا التفاته ينبغي الوقوف عندها وهي أن عدل الله اقتضى المساواة بين الناس من عرب وغير عرب . وحيث أن القرآن نزل بلسان العرب فإن تلاوة العرب للقرآن أيسر وفهمهم للقرآن أقرب والاستفادة منه أسهل لذلك فإن عدالة الله اقتضت أن يعطى غير العربي امتيازاً بأن خطأه في اللفظ مغفور وتكبدته مشاق التلاوة والتعنىم والحنظ الاضافية ، كل ذلك مجازى عليه بأجر اضافي « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٢٧) ومن جهة أخرى فإن من سهلت عليه التلاوة فتلك نعمة أنعمها الله تعالى عليه ينبغي عليه شكرها ومن كان فهم القرآن عليه سهلاً ميسوراً ترتبت على ذلك نعمة يجب عليه شكرها ايضاً وليس أبلغ من شكر هذه النعمة من العمل بما فيه الله من كتاب الله تعالى وازدياد خشية الله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (٢٨) .

٤٩ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَنَزَلَ ؟ قال : « إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي »

قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » (٢٩) قال لي « كُفْ » أو « أَمْسِكْ » فإذا عيناه تذرفان متفق عليه

يستدل من هذا الحديث استحباب سماع القرآن من الغير بشرط الأنصات والتدبر قال الله تعالى « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (٣٠)

(٢٧) سورة أنزلت الآيات ٧ و ٨

(٢٨) سورة طه الآية ٢٨

(٢٩) سورة النساء الآية ٤١

(٣٠) سورة الاحزاب الآية ٢٠٤

وقال «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (٣١) .

والبكاء لقراءة القرآن سنة وهو نتيجة لتدبر القرآن وخشية الله . قال تعالى « كِتَابًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » (٣٢) وفي الحديث الشريف «عَيْنَانِ لَا تَمْتَحِنُهُمَا النَّارُ : عَيْنُ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (٣٣) .

قال أبو سعيد الخراز (٣٤) اذا كان العبد مجموعاً على الله تعالى لا ينصرف منه جارية الى غير الله عزوجل فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله عزوجل «الذي ليس مع الخلق» . اي ان العبد اذا ركز فكره وجميع حواسه في فهم كلام الله تعالى أعطاه الله فهماً اصيلاً لكلامه خاصاً به دون غيره من الناس .

٥٠ - عن سعد بن أبي وقاص (٣٥) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أَتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا»

اخرجه ابن ماجه باسناد جيد

قال صالح المرسي قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأئين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما

(٣١) سورة النساء الآية ٨٢

(٣٢) سورة الزمر الآية ٢٣

(٣٣) رواه ابو يعلى واثّر له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ورواه الترمذي بلفظ مختلف

(٣٤) مرت ترجمته في الهامش ٣ الباب الرابع

(٣٥) دو سعد بن مالك بن ابيب الزهري احد عشرة المشرة بالجنة كان أول من رمى بهم في

سبيل الله وأحد الستة الشورى بعد وفاة عمر كان مستجاب الدعوة كان لانه فتح العراق

ومات سنة ٥٥ هـ

إذا قرأتم سجدة سبحان (٣٦) فلا تستعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه .

وعن الحسن البصري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده فتحنقه فيبقى في البيت اياماً يعاد يحسونه مريضاً .

وكان ابو الدرداء اذا سمع المتهجدين بالقرآن يقول بأبي النواحين على انفسهم قبل يوم القيامة وتندى قلوبهم بذكر الله او لذكر الله عز وجل يعني انفسهم بابي واطلق على من يتعهد بالقرآن ليلاً اسم النواحين على انفسهم لغلبة البكاء عليهم عند قراءة القرآن في صلاتهم .

والتباكي هو التحزن عند التلاوة والخشوع وتركيز الفكر واستجلاب خشية الله تعظيماً لكتابه وكلامه وهذا اذا لم يكن هناك بكاء طبيعي للقارئ دون تكلف منه ويفسر هذا الحديث في التباكي الحديث التالي

٥١ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أحسن قراءة ؟ قال : «مَنْ إِذَا سَمِعْتَهُ يَهْرَأُ رَوَيْتَ اللَّهُ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»

رواه الزار .

كان عكرمة بن أبي جهل (٣٧) رضي الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه وهو يقول هو كلام ربي هو كلام ربي هو كلام ربي . وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن . وقيل ليوسف بن اسباط (٣٨) اذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ فقال بماذا أدعوا؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى العبد نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته تلك سبب قربه من الله عز وجل . وقال ثابت البناني (٣٩) كابدت القرآن عشرين سنة وتغنمت به عشرين سنة .

(٣٦) السجدة في آخر سورة الاسراء .

(٣٧) اسلم عكرمة عام الفتح وقاتل المرتدين في زمن ابي بكر نأدى في معركة اليرموك من يبايع على الموت نياحه ٤٠٠ من المسلمين لقتلوا كلهم الا عرار بن الازور وذلك سنة ١٥هـ .

(٣٨) يوسف بن اسباط من اتقياء اتباع التابعين وزهادهم توفي بعد سنة ١٩٠هـ .

(٣٩) ثابت بن اسلم البناني تابعي ثقة عابد توفي سنة بضع وعشرين ومائة .

يقول الامام الغزالي (٤٠) رضي الله عنه في إحياء علوم الدين : درجات القراءة ثلاث أذناها ان يقدّر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهاال الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم . الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث أنه منعم عليه بل يكون مقصوراً على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن ذلك درجة الغافلين .

وعن الدرجة العليا أخبر الامام جعفر بن محمد الصادق (٤١) رضي الله عنه قال والله لقد تجلّى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضاً وقد سألوه عن حال لحيته في الصلاة حتى خرّ مغشياً عليه فلما سرّني عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

(٤٠) حجة الاسلام الامام محمد بن محمد الغزالي ولد بطوس عام ٤٥٠ هـ ودرس ببغداد ثم رحل الى الحج ثم الشام وتوفي بطوس عام ٥٠٥ هـ . له مصنفات كثيرة اشهرها كتاب احياء علوم الدين الذي ربما كان أفضل كتاب استفاد منه المسلمون بعد كتاب الله وكتب الحديث .
(٤١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لقي جليل وامام صدوق وهو من اتباع التابعين توفي سنة ١٤٨ هـ .

البَابُ السَّادِسُ

أَوَارِاقُ الْقُرْآنِ وَخَتَمُهُ

٥٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مَنْ نَامَ عَنْ جِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ .

رواه مسلم

ورد تلاوة القرآن (كما يظهر من الحديث الشريف هذا) في الليل أفضل من النهار لغفلة الناس ونومهم وسكونهم . فمن عمل عملاً بين غافلين كان أفضل من عمله بين من يفعل فعله . كما أن القراءة في الليل أبعد عن الرياء والسمعة .

الأوراد ترفع من مكانة العبد عند الله تعالى وتصفي قلبه وتبينه لكي يستقبل بركات الله والافادة من تجلياته عز وجل . وتزداد تلك البركات في جوف الليل لكن من نعم الله تعالى ان من طرأ له طارئ يمنع من تنفيذ ذلك الورد احد الايام فاستدركه في صباح اليوم التالي بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كان كأنما قرأه في جوف الليل .

لقد رفع الله عن المسلمين الخطأ والنسيان وما استكروها عليه (١) ولا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا (٢) . وما جعل الله على المسلمين في الدين من حرج

(١) رواه الطبراني عن ثوبان وأشار له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير

(٢) سورة القرة الآية ٢٨٦

فالورد هو ما أجبر العبد نفسه على الاتيان به من غير فريضة من الله تعالى سواء كان صلاة او قراءة أو دعاء وذلك يزيد من رفعة المرء ومكانته عند الله وهذه الاوراد تكون فيما يطيق الانسان ولا تتعارض مع سنن الله تعالى التي فطر الناس عليها . فان عارضت سنة من سنن الفطرة أصبحت رهبانية تملأ النفس وإن الله لا يمل حتى يمل الانسان .

إن من نعم الله تعالى على الامة المحامية أن يكتب لهم ما اعتادوا عليه إن طرأ لهم طارئ من سفر أو مرض مثل ما يفعلون في تمام صحتهم وإقامتهم ويزيد ثواب المرض والضر لقاء ما يجدون من مشاق والآم وثواب مـ يصبرون عليه .

٥٣ - عن اوس بن حذيفة (٣) رضي الله عنه قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سحر معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال قلنا ما امكثك عنا يا رسول الله ؟ قال « طرأ على حِزْبٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيهِ »

قال فسلنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبحنا قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصل من (ق) حتى يختم .

رواه ابو داؤد وابن ماجه باسناد حسن

يؤخذ من هذا الحديث حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إكمال ورده اليومي حتى يقدمه على خروجه على قوم حديثي عهد بالاسلام قدموا المدينة كي يعلمهم دينهم . ورب قائل أليس اشتغال العلماء بالعلم ودراسته

(٣) أوس بن حذيفة بن ربيعة هو والد عمرو بن اوس وجد عثمان بن عباد بن اوس من علماء التابعين . توفي سنة ٥٥٩ هـ .

وتعليمه أفضل من العادة ؟ وتلاوة القرآن ؟ والجواب على ذلك أن العلم لا يفيد نفسه وبقوة حجة حامله فحسب بل بما يضع الله تعالى في قلب قائله وعلى لسانه من تقوى وما يفيض بواسطته من بركات . وهذه لا طريق لها إلا المزيد من خشية الله وعبادته وتلاوة القرآن . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تأخه أعباء الرسالة السماوية وإبلاغها (وما أنقل ذلك) عن الالتزام بالأوراد وتلاوة القرآن وصلاة الليل حتى تورمت قدماه وحين يسأل عن ذلك يقول «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (٤) .

الاحزاب التي ذكرت في الشطر الثاني من الحديث والتي كان يسداوم عليها عامة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في اليوم الاول مسن البقرة الى النساء أي ثلاث سور وفي اليوم الثاني خمس سور من المائدة الى التوبة وفي اليوم الثالث سبع سور من بداية يونس حتى نهاية النحل وفي اليوم الرابع تسع سور من بداية الاسراء حتى نهاية الفرقان وفي اليوم الخامس من بداية الشعراء حتى نهاية يس وفي اليوم السادس من بداية الصافات حتى نهاية الحجرات وفي اليوم السابع من سورة ق حتى نهاية المصحف . وربما اختلف ذلك بعض الشيء من صحابي لآخر فقد روي عن عثمان بن عفان انه كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطله الى القصص وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الأربعاء بالزمر الى الرحمن ويختتم ليلة الخميس .

ويتضح من ذلك حرص الصحابة رضوان الله عليهم على ختم القرآن كل اسبوع .

٥٤ - عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه وعند مسلم مختصراً عن عائشة رضي الله عنها

«إِقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ» قلتُ إِنِّي لأجد قوة حتى قال « إِقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ»

متفق عليه

كان أول أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو مرة كل شهر إلا أنه وجد إمكانية لأكثر من ذلك فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مرة في الأسبوع وقد استمر رضي الله عنه في تطبيق وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكل حريص حتى قيل أنه ندم في آخر عمره حينما ضعفت قواه أنه لم يقبل أمر رسول الله الأول وفي الوقت نفسه كره أن يترك أمره رسول الله به وهو الختم كل أسبوع وهكذا كان حرص الصحابة على كثرة تلاوة القرآن قال تعالى «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (٥)

كان تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وفق ما يطبقونه وما يعرفه منهم من قابلية على التنفيذ والالتزام فهو شيخهم ومربيهم ومعلمهم وما كان يأمر به صحابياً لم يكن ليأمر به صحابياً آخر ويبدو من أمره الأول بالختم كل شهر هو ما يجب أن يأخذ به عامة المسلمين وأن الختم في سبع هو لمن يطبق ذلك أفضل وسأأتي على تفصيل أكثر من ذلك فيما بعد.

٥٥ - عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهُهُ»

رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

يشير هذا الحديث إلى كرامة الاستعجال بالقراءة إلى حد يخرجها عن التلاوة السليمة ومن ثم محاولة ختم القرآن بسرعة وليس في الحديث ما يشير إلى تحريم التلاوة في أقل من ثلاثة أيام بل الإشارة إلى من يتلوها في أقل من ثلاث على الدوام ولا يتعمق بالفهم بل جل اهتمامه بكثرة الختم فحسب.

وقد سئل الامام مالك رضي الله عنه عن رجل يختم القرآن في كل ليلة فقال ما أحسن هذا ، القرآن إمام كل خير وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يختمه في ليلة ولعل أن ذلك أحياناً حيث سبق وان بينا أن ورده كان ختمة كل اسبوع كما روي عن سعيد بن جبير (٦) رضي الله عنه انه قال قرأت القرآن في ركعة في البيت يعني الكعبة وقد أدركنا بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم ممن يختم القرآن في يوم واحد وربما بدأ بختمة اخرى بحيث يختم مرة في الليل ومرة في النهار وهذا ليس على الدوام بالطبع ولكن في بعض أيام رمضان عند الاعتكاف او بين آونة واخرى وعامة ختمهم بين الثلاثة أيام والسبعة

وذكر الامام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد قال دخلت على كرز فاذا عنده مصلاة قائملاًها تبتاً وبسط عليها كساء من طول الثياب وكان يقرأ القرآن في اليوم والليل ثلاث مرات وكان كرز اذا خرج أمر بالمعروف فيضربونه حتى يفتش عليه وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب تدبره أثناء التلاوة

وسيدنا أن الدعاء عند ختم القرآن مستجاب انذلك فان حضور دعاء ختم القرآن والتأمين عليه أمر حسن كما أن التعاون على ختم القرآن بحيث يقرأ كل شخص قسماً من القرآن ثم دعاء الختم مجتهدين تلك سنة حسنة فالقرآن خير ما يؤلف القلوب ويقر بها من بعضها ولن يبخل الله بالعطاء الجزيل على من ساهم في ختم القرآن وحضر الدعاء وأمن عليه

(٦) سيد التابعين كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في رمضان . كان آخر من قتله الحجاج عام ٨٩٥ هـ حيث دعا قيل قتله : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي فعاش بعده ١٥ ليلة

٥٦ - عن عبا. الله بن عباس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا ألقى جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة. متفق عليه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع القرآن بتلوه على جبريل في ليالي رمضان فتسمو روحه وبذا يجود بالخير جوداً ما مثله جود والوجود بالخير إن كان المقصود بالخير المال فقد كان يقسم الصدقات الكثيرة التي تأتيه وما يحب أن يبيت وعنده شيء حتى ينسى أحياناً أن يترك شيئاً لأهله وقد سمى الله تعالى المال خيراً بقروله على لسان موسى عليه السلام «وَبِ أَنِّي لِمَا أَنزَلْتُ إِلَيْكَ مِنَ خَيْرٍ فَفَقِيرٌ» (٧) وإن كان الخير هو العمل الصالح فجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان كان مثلاً لذلك وكان ينصح الصائمين إن سابههم أحد أو شاتمهم أن يقولوا أنا صائمون (٨) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة وقته سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا قضى سهلاً إذا اقتضى . وإن كان الخير هو القول الحسن فقد كان خافقه القرآن صلى الله عليه وسلم (٩) والعمل الصالح يتضاعف في رمضان : النافلة كالفريضة والفريضة إلى سبعة أضعاف والله يضاعف لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم وأفضل تعاهد القرآن هو تعاذه في رمضان . فرمضان هو شهر القرآن : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» (١٠)

(٧) سورة القصص الآية ٢٤

(٨) الحديث : إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يفرط ولا يجهل أن امرؤ شاتم أو قاتله

فليقل إنني صائم رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٩) حديث كان خلقه القرآن رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها

(١٠) سورة البقرة الآية ١٨٥

فقد كرم الله رمضان بتزول القرآن وإنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر « (١١) .

٥٧ - عن عائشة رضي الله عنها : أسرَّ إلي رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

«إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حَصَرَ أَجْلِي»
رواه البخاري

قال الامام ابو حنيفة (١٢) رضي الله عنه من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها القرآن مرتين .

وقال غيره يكره تأخير ختمه أكثر من اربعين يوماً بلا عذر نص على ذلك الامام احمد بن حنبل لأن عبدالله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم نختم القرآن ؟ قال « في أربعين يوماً » (١٣)

قال الامام الغزالي رضي الله عنه في كتاب إحياء علوم الدين : في الختم أربع درجات : الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان : إحداهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريباً من الثلاثة والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمه فان الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وإن كان نهاراً حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع

(١١) سورة القدر الآيات ١ - ٣ .

(١٢) الامام النعمان بن ثابت أحد الائمة الاربعة المجتهدين امام في الفقه زاهد عابد توفي سنة

٥١٥٠ .

(١٣) رواه ابو داود

النهار والليل . والتفصيل في مقدار القراءة إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الاسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يتنصر في الاسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكفي في الشهر بمرة أكثر حاجته إلى كثرة التريديد والتأمل .

٥٨ - عن العرابض بن سارية (١٤) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»
رواه الطبراني
قال الله تعالى في كتابه العزيز « أَدْعُونِي أَجْتَجِبْكُمْ » (١٥) وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة (١٦) وقد اختص الله تعالى أوقاتاً معينة بالدعوة المستجابة كالثلث الأخير من الليل ووقت نزول المطر وساعة من يوم الجمعة وعند ختم القرآن كما اختص ناساً معينين بالدعوة المستجابة كالامام العادل بين رعيته والمظلوم إن دعى على من ظلمه والنبي لأمته .

والدعاء شروط منها عدم الدعاء بالويل والثبور على المسلمين وقطيعة الرحم وأن يدعو وهو موقن بالاجابة وأن يدعو بذلّ وانكدار وأن يلح في الدعاء وأن لا يكون ساعة الدعاء متلبساً بمعصية كأن يكون جوفه ممتلىء بالحرام او كان لباسه من حرام أو في ارض مفسوبة بظلم أو أن يقول أو أن ينظر إلى ما حرم الله . وبالجملة فإن من يدعو ربه عليه أن يكون تائباً منيباً اليه متوجهاً نحوه بصدق وإخلاص له وحده من غير شريك تاركاً للمعاصي والذنوب مجتنباً للرياء والسمة والعجب .

(١٤) العرابض بن سارية السلمي كان من أهل البصرة سكن الشام ومات بها سنة ٨٧٥ .

(١٥) سورة المؤمن الآية ٩٠

(١٦) رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه واحمد والحاكم عن النعمان بن بشير

والدعاء عند ختم القرآن مثله مثل إعطاء اجر العامل إجرته عند إكمال عمله فمن أتم عمله في التلاوة من ترتيل وتفكير وعمل جهده أن تكون تلاوته صحيحة خالصة لوجه الله تعالى فقد استحق الأجرة كاملة باستجابة دعائه كاملاً ومن أنقص من ذلك شيئاً فله الحكم إن شاء اعطاه وإن شاء أجله بثواب يوم القيامة أو إصلاح في أمر دنياه وإن شاء منعه وهو أحكم الحاكمين.

٥٩ - كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَاماً وَهْدًى وَرَحْمَةً. اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَاطْرَافِ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَارَبِّ الْعَالَمِينَ.

رواه الارجاني وأبو بكر بن الضحاك من رواية داؤد بن قيس (١٧) وقد سبق الدعاء المأثور الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن ابي طالب رضي الله عنه في الحديث ٢٥ . وليس تحديد الدعاء عند ختم القرآن حتم واجب بل إن أي دعاء من الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما يصلح من دعاء لأصلاح امر المرء في دينه ودنياه فهو حسن.

(١٧) حديث معضل. وهو الحديث الذي سقط من سنده راويان أو أكثر بشرط أن يكونا توالين وهو أقل درجة من المنقطع وهو الذي سقط من راوي واحد أو المرسل وهو الذي سقط من الصحابي .

الباب السابع

القرآن في الصلاة

٦٠ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طَوَّلُ الْقُنُوتِ .

رواه مسلم

طول القنوت أي طول القيام في الصلاة وأفضل القيام في صلاة الليل .
لقد إختص الله بعض الأماكن كالبيت الحرام والمسجد النبوي وإختص بعض الأفراد بإختصاصات من عنده كالأنبياء وأولياء الله الصالحين وإختص بعض الأوقات بإختصاصات من عنده كإجابة الدعاء وإختص دعوات في أوقات معينة تختلف في فضلها عن أوقات آخر . وما كان أفضل التلاوة في أوقات معينة يختلف في أوقات آخر . لذلك إختلفت الصلوات في طولها وفي أفضل ما يقرأ فيها من سور ومع أن تلاوة أي سورة من القرآن جائز في أي صلاة من الصلوات إلا أن الله إختص سور معينة بثواب أعظم وإجابة دعوات أسرع والله اعلم .

٦١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائماً حتى هممتُ بأمرٍ سوء فلما وُماهمتُ قال هممتُ أن أقعد وأدّر النبي صلى الله عليه وسلم

رواه البخاري

٦٣ - عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهي «إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٥)

أخرجه الندائي وابن ماجه بسند

صحيح

قال الله تعالى : كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ « (٦) فان التدبر والتفكر والتذكر لاحصول له الا بحضور القلب لقول الله عز وجل «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (٧) يعني حاضر القلب

قام تميم الداري (٨) ليلة بآية «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا الدِّيَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (٩) وقام سعيد بن جبیر رضي الله عنه ليلة يردد الآية «وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» (١٠)

٦٤ - عن أبي برزة (١١) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ بِالسِّتِينَ أَلْفَ مِائَةِ .

رواه النسائي

صلاة الغداة هي صلاة الفجر أي كان يقرأ بين ستين آية الى مائة آية فيها . وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة الفجر بسورة النحل ثم بسورة يوسف . وبذلك فان طول القراءة في صلاة الفجر مأثور عن رسول الله

(٥) سورة المائدة الآية ١١٨

(٦) سورة ص الآية ٢٩

(٧) سورة يس الآية ٣٧

(٨) تميم بن اوس بن خارجة الداري صحابي مشهور . سكن بيت المقدس بعد مقتل عثمان . توفي سنة ٥٤٠ .

(٩) سورة الجاثية الآية ٢١

(١٠) سورة يس الآية ٥٩

(١١) هو فضلة بن عبيد الأسلمي

صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وقد قال الله تعالى: «وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَجُزَّ أَنْ قُرْآنَ
الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً» (١٢)

٦٥ - عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة تنزِيل السجدة وهل أتى على الانسان
رواه النسائي

كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ في صلاة العيد بسورتي
ق والقمر (١٣)

٦٦ - صلى أنس بن مالك رضي الله عنه الظهر فلما فرغ قال أني صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقرأ لنا يهاتين السورتين في
الركعتين بسم إسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية .

رواه النسائي

هاتان السورتان من أواسط الفصل وهذا ما يناسب صلاة الظهر من
انشغال الناس بالكسب والعمل فلا يسر التلويل .

٦٧ - عن سليمان بن يسار (١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان (١٥)
قال سليمان : كان يطيل الركعتين من الظهر ويخفيف الآخرين ويخفف
العصر ويقرأ في المغرب بمصار الفصل ويقرأ في المساء بوسط الفصل
ويقرأ في الصبح بطوال الفصل .

رواه النسائي

(١٢) سورة الاسراء الآية ٧٨

(١٣) رواه مسلم عن أبي قتادة

(١٤) سليمان بن يسار الهلالي المدني مول ميمونة وقيل أم سلمة وهو أحد فقهاء المدينة السبعة من
علماء التابعين ولما مات بعد سنة ١٠٠ هـ

(١٥) كان عمر بن عبدالعزيز أشبه الناس في زمانه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم

المفصل هو آخر القرآن من سورة ق الى سورة الناس وعلى ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر السور الطوال مسن المفصل لكونها أول النهار والانسان بحاجة الى غذاء روحي كما هو بحاجة الى غذاء مادي فطول القيام استحضار لعظمة الله تعالى ومخالفة لأهل الباطل والخفلة أما القراءة في الظهر والعصر فقراءة بين المتوسطة والقصيرة للسماح للناس في مزاوله الكسب والعمل ابتغاء فضل الله تعالى

اما القراءة في المغرب فقصيرة لقصر وقت المغرب. وفي العشاء تكون القراءة متوسطة لكونها خاتمة الصلاة وقبل وقت النوم والراحة فان قام الرجل من الليل بعد نوم كاف كان قيامه طويلاً وقت غفلة اكثر الناس افتراقاً عنهم فالذاكر وقت غفلة الناس ثوابه عظيم والذاكر بين الغافلين مكانته عظيمة أما باقي النوافل والسنن فالقراءة فيها بصورة عامة بين المتوسطة والقصيرة . ٦٨ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رَمَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِينَ مَرَّةً يَقْرَأُ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

رواه النسائي والترمذي عن ابن عباس وقال حديث حسن

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بركعتي الوتر قبل الاخيرة بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وفي الركعة الاخيرة من الوتر بسورة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وبذلك عمل الشافعي ومالك أما ابو حنيفة وأحمد فاستحبوا قراءة قل هو الله احد في الركعة الاخيرة من الوتر وحدها

٦٩ - عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يصلي بالناس فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فشاكيًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول

الله صلى الله عليه وسلم مُعَاذاً فَقَالَ «أَفْتَانِ أَنْتَ يَا مُعَاذُ . إِنْ قَرَأَ سُورَةَ
سَبَّحَ وَالشَّمْسَ وَضَحَّاهَا »

متفق عليه

يسن ان تكون صلاة الجماعة بما يستطيعه أضعف الناس بين الجماعة فليس
لله حاجة في ايداء الضعفاء أو ملل المصلين من طول القيام قسراً ما دام فرض
الصلاة يتم حتى يآيات قلائل وليس ذلك فحسب بل إن السنة النبوية تقرر
فضل الصلاة الجماعة القصيرة على الطويلة مخافة الملل والسأم والضعف من
قبل واحد أو أكثر من المصلين وهذا لا يتعارض مع تحديد وفعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم. ففعله قد حدد حدوداً لطول وقصر الايات والسور المحبذ
الالتزام بها في الصلوات ومع ذلك فإن الميل للتقليل هو سنة مؤكدة متى خيف
السأم والضعف

ومعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ تعليم له ولمن يتقدم لأمامة
المسلمين بمراعاة الضعفاء من الاتباع والرعية دون إفراط او تفريط ولا شطط
ولا مفالاة أما من أراد طول القيام ففي صلاة الليل سعة وأبعد عن
الرياء وعن ايداء الضعفاء من الناس ومن أحب طول القيام فليصل ذلك
وحده فيما عدا الفريضة التي تكون أفضل ما هي عليه جماعة

٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما نجد أحداً
موضع جهته.

رواه البخاري

سجود التلاوة سنة في أربعة عشر موضعاً في القرآن الكريم ويسن السجود
بعد تلاوة آيات السجود مباشرة والحديث يدل على تكرار ذلك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك كان يتم أثناء تعليمه صلى الله عليه وسلم
وتدريسه القرآن للصحاب الكرام وهم حوله مزدحمين حتى كان يسجد

أُحْدِهِمْ عَلَى ظَهْرِ الْآخِرِ لَعْدَمِ تَوْفُرِ أَمَاكِنِ لَوْضَعِ الْجِبَّةِ عَلَى الْأَرْضِ وَآيَاتِ
السُّجُودِ تَحْتَ عَلَى السُّجُودِ بِمَدْحِهَا إِيَّاهُمْ وَتَذَمُّ الْكُفَّارِ لَامْتِنَاعِهِمْ عَنِ السُّجُودِ
لِلَّهِ تَعَالَى مِثْلَ الْأَوَّلَى

«إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ
رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» (١٦) ومِثَالُ الثَّانِيَةِ «وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ» (١٧)

١٨ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ سُورَةَ صَ فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ
النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ آخِرِ قَرَأَهَا فَبَلَغَ السَّجْدَةَ تَشَرَّنَ (١٨) النَّاسُ لِلْسُّجُودِ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيٍّ وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَرَّنْتُمْ لِلْسُّجُودِ» فَتَرَلَّ وَسَجَدَ وَسَجَدُوا
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

رَبَّمَا دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ فِي سُورَةِ صَ غَيْرُ مُؤَكَّدٍ أَوْ أَنَّ الرَّسُولَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَنَّ السُّجُودَ كُلَّهُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ سُنَّةٌ وَلَا بِأَسْ
بِتَرْكِهِ أَحْيَانًا لَكِنِ السُّجُودَ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ هُوَ أَفْضَلُ وَذُو ثَوَابٍ عَظِيمٍ

(١٦) سُورَةُ الْأَسْرَاءِ الْآيَتَانِ ١٠٦ وَ ١٠٧

(١٧) سُورَةُ الْأَنْشُقَاتِ الْآيَةُ ٢١

(١٨) أَيِ تَبَيَّأُوا وَاسْتَعْدُوا

الباب الثامن

فضائل سورة محمدية

يقول الأمام الشعراي (١) في كتابه لوائح الانوار القدسية في بيـــــان
المهود المحمدية: وقد أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نواظب على قراءة ما ورد من الايات والسور كل يوم وليلة كالفاتحة
وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة آل عمران وقراءة
سورة يس والواقعة والادخان وتبارك ونحو ذلك . والاحاديث في ذلك
مشهورة ومن واطب على ذلك كان في حرز وأمان من الآفات الظاهرة
والباطنة واكثر من يخل بهذا العهد بعض طلبة العلم الذين حدثوا في هـــــنا
الزمان فلا تكاد تجد لأحدهم ورداً من القرآن ولا من الاذكار وإن كلمهم
أحد في ذلك جادلوه وقالوا نحن مشغولون بالعلم وربما جلس احدهم يلغو
ويعزح ويستغيب الناس أضعاف زمن تلك الأوراد ولا يقول لنفسه قط إن
الاشتغال بالعلم أفضل أبداً بل ربما نسي بعضهم القرآن في حجة اشتغاله
بالعلم وهو ذنب عظيم كل ذلك لعدم من يريهم وقد كان السلف الصالح
إذا رأوا طالب العلم لا يعتني بالعمل لا يعلمونه العلم .

٧٢- عن أبي سعيد بن الملقى (٢) رضي الله عنه قال كُنْتُ أُصَلِّي
فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَجِبْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ

(١) الامام عبد الوهاب الشعراي من كبار علماء القرن التاسع الهجري وله مؤلفات كثيرة .

(٢) هو ابو سعيد الحارث بن نفع بن المعل الانصاري توفي سنة ٥٧٤ هـ .

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَعْلَمُكُمْ
أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟ فَأَخَذَ يَدَيَّ فَلَمَّا أَرَدْنَا
الخُرُوجَ قَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ . قَالَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . هِيَ السَّجْدَةُ الثَّانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَهُ .

رواه البخاري وأبو داود

٧٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ
عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيصاً من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب
في السماء ففتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل
إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيتهُ
رواه مسلم

روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«الْأَيْتَانِ مِنَ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ» (٣) أي بمنحان عنه
الأعداء والمصائب : أعداء الأنس والجن ومصائب الآخرة فيبقى في ليلته
في حرز أمين حيث قال تعالى : «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» (٤) وربما يقصد «بكفثاه»
عظام أجرهما أو عظام الدعاء الوارد فيهما أو بأن يكون في أمان فإن مات مات
على الإيمان. وهكذا قرئت خواتيم سورة البقرة وهي آيتان أو ثلاث آيات من
قوله تعالى : اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. إلى آخر السورة بسورة
الفاتحة التي هي السجدة الثانية . ويستحب في آخر قراءة هذه الآيات السلات
قول آمين كما في سورة الفاتحة لأن الدعاء فيها دعاء جليل ففيه الدعاء بعدم
المؤاخذة بالخطأ والنسيان وتشبه الفاتحة كذلك في احتوائها الدعاء بعدم سلوك
صراط المغضوب عليهم والضالين بقوله تعالى : رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا .

(٣) رواه الأربعة عن عبد الله بن مسعود

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٧

٧٤ - عن أبي بن كعب (٥) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله ورسوله اعلم قال : يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت الله لا إله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري وقال : والله ليهنك (٦) العلم أبا المنذر»

رواه مسلم وأبو داود

انفاز إلى أدب الصحابي الجليل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابه الله ورسوله أعلم مع علمه بالجواب . وهكذا كان أدب الرجال العظام الذين تأدبوا بأدابه صلى الله عليه وسلم ورباهم بنفسه فنعم الصحب صحبه ونعم الأدب أديهم .

٧٥ - عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كاتمتا غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما إقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة

رواه مسلم والترمذي

سورتا البقرة وآل عمران تحويان الكثير من الحكم والأمثال والعظومات فمن حفظهما وإقام حدودهما واثمر بأوامرهما وانتهى عن نواهيها كان حقاً على الله ان يشفعهما فيه يوم القيامة لتحاججان عن صاحبهما فهما بركة لمن يتلوها وحسرة على من يتركهما يوم القيامة حين يجد ما أعد الله تعالى لمن أوتيهما في هذه الدنيا .

(٥) أبي بن كعب الانصاري سيد القراء كان من اصحاب العقبة الثانية وشهد بدرأ والمشاهد كلها وهو اول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم مات سنة ٥٢٠ هـ .

(٦) ليهنك اي ليوتتك العلم

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الله يوفق لمثل هذه الأعمال من يحب أما من لا يحب فانه لا يمكنه حفيهما أو أداء حقهما حتى ولو حاول ذلك ابتغاء غير وجه الله تعالى .

غيابتان من غيابة وهي الظلّة او الغمامة والبطلة أهل الباطل

٧٦- قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: قد شبّهت يا رسول الله قال: «شبيبتني هودٌ وأخواتها الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»

رواه الترمذي

سورة هود احتوت على آية الامر بالاستقامة : «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» (٧) وهي حمل ثقل بالامر بالاستقامة كما امر الله تعالى وهو أمر ليس خاصاً به بل لمن اتبعه بقوله تعالى : « وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا»

أما سور المرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت فكلها وصف لشدة يوم القيامة : يوماً يجعل الولدان شيباً . وتنذر الناس إنذاراً شديداً . ففي سورة المرسلات تكرار للويل للمكذبين عدة مرات وفي عم يتساءلون وصف للقيامة بالذبأ العظيم وفي التكوير وصف للحوادث الكونية الزهينة يوم القيامة وفي الواقعة كذلك فهي الخافضة الرافعة ووصف أحوال أصحاب اليمن وأصحاب الشمال وأحوال السابقين السابقين اولئك المقربين .

٧٧- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ» رواه البيهقي والحاكم وصححه

٧٨- عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» رواه مسلم واحمد والنسائي وابو داود

(٧) سورة هود الآية ١١٢ والنظ مكرر في سورة النور. كذلك الآية ١٥ .

وفي رواية من آخر سورة الكهف (٨) والافضل الجمع بينهما بحفظ عشر آيات من أولها وعشر من آخرها والافضل من ذلك حفظ السورة كلها وترديدها ايام الجمع كما مر في الحديث السابق

٧٩ - عن معقل بن يسار (٩) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَلْبُ الْقُرْآنِ يَسْ لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ . إِقْرَأُوهَا عَلَى مَوَاتِكُمْ» رواه الامام احمد والبيهقي وصححه

٨٠ - عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ حَمَّ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ أَوْ يَوْمَ جُمُعَةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» رواه الطبراني وصححه

٨١ - عن عبدالله بن مغفل (١٠) رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْفَتْحِ وَمَوْ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَتِهِ سُورَةَ الْفَتْحِ . رواه ابن ماجة

في هذا الحديث جواز بل استحباب التلاوة أثناء السفر والمشي والركوب وفي الطريق وقد روي ذلك عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه . كما أن الحديث يدل على ضرورة تعاهد القرآن وتلاوته سفرأ وحضرأ كما أن تلاوة سورة الفتح يوم الفتح كانت سورة بالمناسبة لذلك يسن تلاوة الآيات أو السور التي لها علاقة بالمناسبة التي يمر بها المرء في حياته .

(٨) حديث من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف عصم من الدجال عن أبي الدرداء رواه مسلم واحمد والنسائي .

(٩) معقل بن يسار المزني اسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان ليل هو الذي حفر نهر المعقل بالبصرة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنسب اليه . مات في آخر خلافة معاوية

(١٠) عبدالله بن مغفل المزني شهد بيعة الشجرة وهو أحد العشرة الذين بثهم عمر بن الخطاب ليهفوا اهل البصرة مات في البصرة عام ٥٥٩ .

٨٢- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ الْفَاقَةُ أَبَدًا

أخرجه أبو عبيد وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي

٨٣- عن العرياض بن سارية (١١) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات فقبل أن يرقئ . ويقول : «إِنَّ فِيْهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ الْفَرَايَةِ»

المسبحات من خمس سور : الحديد والحشر والأصف والجمعة والتعاون ولعل الآية المشار إليها في الحديث «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» (١٢) الى آخر السورة .

القرآن كله خير وكله فاضل . فهل هناك آية افضل من آية ؟ كل القرآن كتاب الله لكن موضوع الآية وما تحتوي يختلف عن آيات أخر فليس موضوع قل هو الله احد" وهو خلاصة التوحيد كموضوع « تَبَّتْ يَدَا أُبَيِّ لِحَبِّ » وهي ذم واحد من الكفار فالموضوعان مختلفان وبذلك فصلت الآية الاولى من حيث موضوعها على الآية الثانية في موضوعها لكن كلا الآيتين سواء من حيث أنهما كلام الله تعالى .

٨٤- عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَأَنَّ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمُنْتَرَلَةِ»

رواه الترمذي

(١١) العرياض بن سارية صحابي مشهور من أهل الصفة وكان يقول أنا رابع الاسلام . نزل حمص ومات سنة ٨٧٥ .

(١٢) سورة الحشر الآية ٢١

الشهيد في الحديث هذا لعله أقل درجة من الشهيد الذي تشير إليه أحاديث آخر بأنه الذي يركب فرسه حتى يستشهد في سبيل الله فذلك شهيداً في الجهاد في سبيل الله . أما الغريق فهو شهيد ومن تردى من جبل فهو شهيد ومن مات وهو يطلب العلم فهو شهيد ولعل هذا الشهيد هو بهذه المتراة فهو بتلاوته هذه استودع الله تعالى ما أقر في هذه الآيات من اعتراف بوحداية الله وخضوع لسلطانه ومهد بطاعته وهؤلاء جميعاً شهداء لكنهم أقل درجة من الشهيد الذي ذكر أولاً .

٨٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

«مَنْ الْقُرْآنَ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي يَدِهِ الْمُلْكُ»
رواه أبو داود الترمذي وقال حديث حسن

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه (أي خيمته) على قبر وهو لا يعلم فإذا فيه إنسان يقرأ : سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صربت خيائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المائدة هي المنجية تُنجيه من عذاب القبر .

وعذاب القبر ثابت بالقرآن الكريم بقوله تعالى : وَالنَّارُ يُمْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (١٣) فهذه الدورة تشفع أصحابها الذي يكثر قراءتها وتمنع عنه عذاب القبر وتنجيه منه .

٨٦ - عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل .

رواه الترمذي .

٨٧- «مَنْ قَرَأَ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَمَنْ قَرَأَ لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى فَلْيَقُلْ بَلَى وَمَنْ قَرَأَ وَالْمُرْسَلَاتِ فَبَلَغَ فَبَلَى حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُلْمِنُونَ فَلْيَقُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ»

رواه ابو داؤد والترمذي

وهكذا على من يتقرأ القرآن أن يكون حاضر الفكر فإذا مر بآية رحمة سأل الله أن يرحمه أو آية عذاب دعا الله أن يصرف ذلك عنه وإن ... سـر باستفهام أجاب كما في هذه الآيات وبآية سجده سجد وبآية دعاء رفع كفيه للدعاء وإن كان الدعاء طلباً لصرف أمر مكروه قلب كفيه ودعا وكل ذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨٨- عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«مَنْ قَرَأَ إِذَا زُلْزِلَتْ عَدَلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ عَدَلَتْ لَهُ بِرُبْعِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عَدَلَتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ»
رواه الترمذي .

معاداة السور يجزء من القرآن بناء على ما تحتويه من مواضع فالقرآن ترغيب وترهيب وسورة الزلزلة ترهيب من يوم القيامة فهي نصف الموضوعين وسورة الكافرون براءة من الكفر وانكافرين وسورة الاخلاص إثبات للتوحيد وإقرار بصفاته وكل هذه اركان عظيمة من أركان الاسلام وهي خلاصة الجزء عظيم من الدين لذلك فقد عودلت بما ذكر من أجزاء من القرآن .

٨٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :
«مَنْ قَرَأَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعَادَهُ اللَّهُ مِنَ السُّوءِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَةِ»

رواه ابن السني - حديث صحيح

صلاة الجمعة تتكرر مرة في الاسبوع فهي صلاة مختصة بفضل عميم
وتمام ذلك الفضل بانتهائها ثم الدعاء أو قراءة القرآن بعدها أو ذكر الله
تعالى وما هذه الأمور سوى سور إقرار بوحداية الله تعالى والدعاء والاستعاذة
رجاء أن يستمر فضل هذه السور وبركاتها إلى الجمعة الأخرى فالأمر من
كالتاجر النهم لا يدع لحظة ولا مناسبة ولا وسيلة للربح إلا استخدمها وطلب
الاستزادة من الثواب والبركات والدعاء رجاء أن يقع على الحظاة يتجلى الله
تعالى على خاتمه فيها وينعم عليهم بالاجابة ومثل هذه المناسبات تتكرر كل
صلاة وكل ليلة وكل جمعة وكل رمضان وكل حج وهكذا .

٩٠ - بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَةٍ فَكَانَ يَقْرَأُ
لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيُحْتَمُّ بِقَوْلِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَالَوْهُ فَقَالَ لَأَنَّهُ
صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَإِذَا أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
«أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»

رواه مسلم

تشير هذه الآية إلى مدى انهمم العميق الذي كان عليه صحابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم للقرآن والشرعة . فان اكثر الصحابي لتلاوة قل
هو الله احد حتى في كل ركعة لحبه تلك السورة كان أمراً جديداً محدثاً لم
يسبقه أحد بذلك لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غيره من الصحابة
فهو بدعة لكن تلك البدعة كانت بدعة حسنة لا بسبب تقرير وموافقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم له لأن ذلك حدث فيما بعد ولكن بسبب أن
تلك البدعة تتماشى مع روح الدين في تعظيم الله وتقديسه وحيه وحب الآيات
من القرآن التي تعظم صفاته . ثم بعد ذلك جاء الحديث الشريف هذا في
إقرار مقام به الصحابي واعتبار فعله سنة يجازى بها بحب الله تعالى له وهذا
مكمل لما سبق ان ذكر في الحديث (٣٤)

(٣٤) فقد قال الله تعالى بعد الأمر بصلاة الجمعة «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» سورة الجمعة الآية ١٠.

٩١ عن عقبه بن عامر (١٥) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 «لَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرَ مَظْهَنَ قَطْءٍ» قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»

رواه مسلم

حقاً إن كل آية أو مجموعة من آيات في القرآن ليس لها مثل فهاتان
 السورتان سورتنا استعاذه ليس لمن مثل في القرآن كله ولم يعرف العرب لمن
 مثل في كلامهم وقد اقتصنا بالاستعاذة والرقية وبفضل كبير

٩٢ -- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أَسْمِ اللَّهَ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قُلْ اللَّهُمَّ مَا لَكَ
 الْمَلِكُ تَوْفِي الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ
 وَيَبْدِيكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (١٦)

رواه الطبراني

لله تعالى تسع وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة وحفظ تلك الاسماء
 هو استظهارها والعمل بما تأمر به والنهي عما تنهى به من تجليات وقد
 أحصى الله تعالى بين تلك الأسماء اسمه الأعظم وقد ورد في هذا الحديث
 وفي أحاديث أخرى إشارات إلى مواضع الاسم الأعظم في القرآن الكريم
 أو بين أسمائه تعالى وقد اختلف العلماء في الاسم الأعظم كثيراً وهو
 مما احتفاه الله تعالى كليلته التدبر بين الليالي العشر الأواخر من رمضان وساعة
 الإجابة يوم الجمعة

والاسم الأعظم هو الاسم الذي دعي الله به أجاب وكل أسماء الله
 تعالى الجبني المذكورة هي الأخرى في القرآن أيضاً

(١٥) عقبه بن عامر الجهني كان عالماً بالفرائض والفقه فصحح اللسان شامراً وهو أحد من جيل
 الأئمة من عهد عثمان رضي الله عنه مات في خلافة معاوية
 (١٦) سورة آل عمران الآية ٢٩

الباب التاسع

الأجر على تلاوة القرآن والرقية به

٩٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قوم يقرأون القرآن قال : «إِقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُؤْمِنُونَهُ إِقَامَةً الْقَدَحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»
رواه الإمام أحمد وأبو داود

القَدَحُ آتية للشرب فكان من ينبغي بتلاوة القرآن غير وجهه الله كمن يستخدم القرآن آتية لأشباع شهواته من طعام أو شراب أو اكتساب المال أو الشهرة والسعة

٩٤ - عن عمران بن حصين (١) رضي الله عنه أنه مر على قاصٍ يقرأ ثم سألَ فاسترجعَ ثم قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :
مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ اللَّهُ بِهِ فَانْه سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ
رواه الترمذي وحن

في هذا الخبر أن النبي واضح عن الاستجداء بالقرآن وسؤال الناس عرض الدنيا بالقرآن . فما لذلك أنزل الله كتابه بل أنزله هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان ونور ورحمة وعلى المسلم أن يسأل الله وحده بالقرآن والاسترجاع هو قول إِنْكَ لَعَمْرُؤُنَا إِلَهُ رَاجِعُونَ

(١) عمران بن حصين الخزاعي أسلم عام حبيب عثمان رجلاً فاضلاً عين لاصياً بالكوفة وتوفي سنة ٥٥٧ باليمامة .

٩٥ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنا في مسيرٍ لنا فنزلنا فجاءت جاريةٌ فقالتُ ابن سيدٍ الحلي سليم (٢) قَهْلٌ مَعَكُمْ رَاقٍ؟ فقام مَعَهَا رَجُلٌ فَرَقَاهُ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ فَبَرِئَ فَدَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
وما يدريه أنها رَقِيَّة ؟

رواه البخاري

وتمة الحديث في رواية اخرى أن القافلة قد طلبوا أن يضيفهم أصحاب الحلي فابوا لكنهم بعد أن طلب منهم أن يرقوا اللديغ طلب الصحابي على ذلك اجراً فأخذ أجره من الغنم بعد أن برىء ابن سيد الحلي فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال : «واضربوا لي مِنْهَا بِسَمٍ» اي شاركوني في ما اهدي إلى الرجل من أجر على رقبته للديغ .

إن كتاب الله عز وجل ليس هو الذي يشفي أو يبريء فالله هو الذي بيده كل شيء قال الله تعالى : «وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالِ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً . أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً» (٣) . هذا في الوقت نفسه فإن الله تعالى قد أودع في هذا القرآن الكريم أسراراً وبركات جمّة بحيث إذا صادف تلاوة شيء منه في وقت معين من قبل أشخاص مؤمنين برىء المريض وشفى السقيم كما قال تعالى : «وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً» (٤)

والرقية علاج نفسي ثبتت فائدته بالتجربة وأكدّه علماء النفس والاطباء المحدثون ولا ينحصر تأثيره على الامراض النفسية بل يتعدى ذلك إلى الامراض العضوية التي تعود أسبابها إلى اسباب نفسية كالرعب والخوف وما أشبهها التي تحتاج إلى طمأنة لنفس المريض ودفع القلق والاضطراب النفسي عنه ولا غرابة في ذلك فمن أودع في الدواء اسراراً لتغلب حلى

(٢) سليم من كلمات الاعداد أي مريض وكان له لدغته حية او عقرب

(٣) سورة الرعد الآية ٣١

(٤) سورة الاسراء الآية ٨٢

الاعراض المرضية ومن ثم الشفاء هو نفسه جل وعلا قد أودع أسراراً
مشابهة في كتابه وكلامه ولدى الصالحين من عباده وفي الأوقات المباركة
المختصرة من الزمان والله الامر جميعاً

٩٦ - عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ

رواه البخاري

قال ابو الليث الهمداني في كتاب بستان العارفين : التعليم على ثلاثة
أوجه أحدها للحبة ولا يأخذ به عوضاً والثاني أن يعلم بالاجرة والثالث أن
يعلم بغير شرط . فان أهدي اليه قبل الهدية .

فالأول مأجور وهو عمل الانبياء عليهم السلام
والثاني مختلف فيه : قال أصحابنا المتقدمون لا يجوز لقوله صلى الله عليه
وسلم :

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» وقال جماعة من المتأخرين يجوز ... وقالوا والأفضل
للمعلم أن يشارط الاجرة للحفظ وتعليم الكتابة فان شارط لتعليم القرآن
أرجو أنه لا بأس به لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا اليه .

واما الثالث فيجوز في قولهم جميعاً لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
معاضاً للخلق وكان يقبل الهدية والحديث اللديغ لما رقهه بالفاضة وجعلوا له
جعلاً وكان النبي صلى الله عليه وسلم «وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ فِيهَا بَسْمُهُ» (٥)
لعل هذا الحديث تكملة لحديث اللديغ السابق لما قرره الصحابة في الاكل
من أجر الذي رقى بالفاضة بعد أن اتفق معهم على ان يجعلوا له جعلاً . أما
احتراف الرقية بالقرآن ابتغاء الكسب فهذا ما نهي عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الأحاديث السابقة ٩٣ و ٩٤

(٥) البرهان في علوم القرآن الجزء الأول صفحة ٤٥٧

٩٧ - عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها

رواه الثلاثة

في هذا الحديث دليل على شدة الحاجة للرقية فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو من الله الشفاء بقراءة المعوذتين فما بال غيره من المسلمين لا يرجون ذلك وفي الحديث دليل على جواز الرقية من المفضول لمن هو أفضل منه. فكانت عائشة رضي الله عنها ترقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد العالمين وترجو بذلك أن يصيبها بعض بركاته بمسح يده .

٩٨ - عن أبي بن كعب (٦) رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال يا نبي الله أنسلي أخاً وبه وجع قال ما وجعه؟ قال به ألم قال فأتني به فوضعت بين يديه فعوذته النبي صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة (٦) وهاتين الآيتين : اللهم إله واحد (٨) وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة (٩) وآية من آل عمران (١٠) شهد الله أنه لا اله الا هو وآية من سورة الأعراف (١١) إن ربكم الله وآخر سورة المؤمنين (١٢) فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن (١٣) وأنه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول سورة الصافات (١٤)

(٦) أبي بن كعب الانصاري سيد القراء كان من اصحاب العقبة الثانية وشهد بدرأ والمشاهد كلها .

(٧) الآيات : ألم ذلك الكتاب .. الى لوله يؤمنون

(٨) الآية ١٦٣

(٩) من لوله تعالى : لله ما في السماوات وما في الارض .. الى آخر السورة

(١٠) الآية ١٨

(١١) الآية ٥٤

(١٢) الآيات ١١٦ و ١١٧ و ١١٨

(١٣) الآية ٣

(١٤) من لوله تعالى : والصافات صفوا الى لوله الا من عطف الخطفة فاتبعه شهاب ثالث

وَالثَّلَاثُ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ (١٥) وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَعُودَتَيْنِ فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُ قَطًّا

أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ

الآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ آيَاتٌ اخْتَارَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَكُونَ رَقِيَّةً وَقَدْ اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْآيَاتِ بِتِلْكَ الْخَاصَّةِ .

أَنَّ الرَّقِيَّةَ بِالْقُرْآنِ لَا تَتَعَارَضُ مَعَ التَّدَاوِي وَاسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ بَلْ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ بِالدَّوَاءِ وَقَالَ : إِنْ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا وَقَعَ الدَّوَاءُ عَلَى الدَّاءِ بَرَحَهُ الْمَرِيضُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى (١٦) وَلَا شَفَاءَ لِلدَّاءِ وَاحِدٍ هُوَ الدَّاءُ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حُلُولَ أَجَلِ الْإِنْسَانِ وَمَوْتَهُ .

٩٩ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ كَلَّمَ لَيْلَةً جَمَعَ كَفَبَهُ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَالَمِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ زُرْعَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أُوتِيتُ إِلَى فِرَاشِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ فَانْهَارَ مِنْ الشُّرْكِ .

النَّفَثُ فِي الْيَدَيْنِ وَالْمَسْحُ عَلَى الْجَسَدِ كِتَابَةٌ عَنْ جَمْعِ بَرَكَاتِ الدَّعَاءِ وَتَوَازُعِهَا عَلَى الْجَسَدِ وَلَيْسَ فِي الدَّعَاءِ مَا يَمْسَحُ أَوْ يَجْمَعُ بِالْيَدَيْنِ لَكِنْ مِثْلُ ذَلِكَ حَصْرُ لِلْفِكْرِ وَاسْتِجْمَاعُ الْأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ فِي وَقْتِ الدَّعَاءِ نَفْسَهُ لِكَيْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ طِيلَةً وَقْتَهُ وَكَثْرًا بِفِكْرِهِ وَجَوَارِحِهِ عَلَى الدَّعَاءِ كَمَا أَنَّ بَرَكَاتِ الدَّعَاءِ تَخَالُطُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ وَبِذَلِكَ فَإِنَّ نَفْسَهُ وَمَسْحَ الْجَسَدِ تَوَازُعٌ لِتِلْكَ الْبَرَكَاتِ عَلَى الْجَسَدِ كُلِّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١٥) مَنْ قَوْلُ تَعَالَى : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

(١٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ زَاهِدٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

١٠٠ - عن شداد بن أوس (١٧) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مِمَّنْ مُسْلِمٌ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ فَيَقْرَأُ سُورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ
بِهِ مَلَكًا يَحْفَظُهُ فَلَا يَقْرُبُهُ شَيْءٌ يُلْذِيهِ حَتَّى يَهْبَئِيَ مَتَى هَبَّ

أخبره أحمد والترمذي

إن لكل آية أو سورة أو كلمة بل ولكل حرف ملائكة مختصون يخدمون
تلك السورة أو الآية أو الكلمة فمن تلاها تنزلت تلك الملائكة لتنفيذ ما أوكل
الله بها من مهام من حفظ للقاريء أو منع للشياطين عنه أو حرز من الشر أو
الكفر أو ييسرونه بالوقاية من النار والموت على الإيمان إن كان قد كتب الله
عليه الموت حيثئذ . وهذه الخواص لا يحسّ بها عامة الناس فالله يسودع
أسراره من يشاء ومتى يشاء وهو على كل شيء قدير . فلا أحد يستطيع الجزم
بسبب تفضيل تلاوة سورة الكهف يوم الجمعة وعصمة قارئها من الدجال
أو غيرها من الآيات والصور التي أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهي أمور تردنا منه صلى الله عليه وسلم ونرجو بها الثواب من الله تعالى يوم
القيامة وإصلاح أمور الدنيا .. ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

(١٧) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ابن أخي حسان بن ثابت شهد أبوه بدرًا واستشهد
بأحد. سكن شداد حمص وتوفي بفلسطين أيام معاوية ودفن ببيت المقدس عام ٥٥٨ هـ
وهو ابن خمس وسبعين سنة

«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكرِ الله وما نزلَ مِنَ الحقِّ . ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (١٨) .

صدق الله العظيم

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٦٩٣) لسنة ١٩٨٦

المحتويات

١٣	تقديم
٥	الباب الأول :	فضائل تلاوة القرآن ...
١٧	الباب الثاني :	تعلم القرآن
٣١	الباب الثالث :	حفظ القرآن
٤١	الباب الرابع :	العمل بالقرآن
٦١	الباب الخامس :	كيفية تلاوة القرآن
٧٥	الباب السادس :	أوراد القرآن ونحوه
٨٥	الباب السابع :	القرآن في الصلاة
٩٣	الباب الثامن :	فضائل سور محددة
١٠٣	الباب التاسع :	الأجر على تلاوة القرآن والرقية به ...